المدارس السريانية

بقلم

المطران اسحق ساكا

المدارس السريانية

كلمة عامة	مدرسة نصيبين الاولى
مدرسة الرها	مدرسة نصيبين الثانية
مدرسة دير مار متى	مدرسة بيت شاهاق
مدرسة دير سرجيسة	مدرسة دير قرقفتا
مدرسة دير سرجيس المعلق	مدرسة دير مار برصوم
مدرسة دير قنسرين	مدرسة دير الزعفران

كلمة عامة

قبل ان نبتدىء بتعداد وشرح المدارس السريانية وقبل ان نأتي الى ذكر المعاهد العلمية لدى السريان ، نرى من الانصاف والحق ان نشيد بفضل العرب المسلمين في تسهيل انتعاش الحياة الفكرية والمساعدة على تفجير الطاقات العلمية ، الذين كانوا كل السبب في ظهور النشاطات في شتى مجالات المعرفة الانسانية . ذلك ان هؤلاء العرب قدموا من الجزيرة العربية يرافقهم نهم شديد الى العلم ، لا بل ان العلم في الاسلام عقيدة على حد قول الاحاديث النبوية « من سلك طريقاً يطلب علماً سهل الله له طريقاً الى الجنة » و « طلب العلم فريضة على كل مسلم » لذلك وقع العربي المسلم في هوى العلم وعشقه وقدسه ورفع الويته فوق السهى واكرم رجالاته ، واكب عليه في كل جوارحه ، وراح ينصرف للحصول عليه انصرافاً منقطع النظير . يرتاد ينابيعه ايا كان نوعها عملاً بقول الحديث : « خذ الحكمة ولا يضرك من اي وعاء خرجت » اضف الى هذا الفارق ما بين المتعلم وغير المتعلم كقول القرآن الكريم : « وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

لذلك نرى بروز الحركة الفكرية لدى السريان ما بين القرن السابع وحتى الثالث عشر او بعبارة اخرى منذ دخول العرب هذه البلاد فاتحين وحتى سقوط الدولة العباسية عام ١٢٥٨ م فقد كانت فترة ازدهار وانتاج ونشاطات فكرية علمية نظراً لعشق العربي المسلم للعلم والذي يتجلى في مبالغة اكرام العلماء . وفي عهد الامويين ابان الفتح ترك العرب المسلمون المدارس المسيحية الكبرى وغيرها قائمة في انطاكية وحران ونصيبين ولم يمسّوها باذى اكراماً للعلم وحفظاً لامهات الكتب الفلسفية والعلمية . وليس عشقهم للعلم فحسب بل روح التسامح في الدين الاسلامي ، وكون القومية العربية انسانية لا عنصرية ، نسجل هذا للحقيقة والتاريخ .

لقد انشأ السريان معاهد راقية ، ومدارس زاهرة في بلاد آرام قبل الميلاد لتلقين الآداب والعلوم ، وإلا فاين درس احيقار الحكيم ؟ والشاعر الفيلسوف وافا ؟ واما بعد الميلاد فبكل تأكيد كان في بلاد ما بين النهرين العديد من المدارس . قال رينان : « ان الآداب السريانية انتقلت من بابل الى ما بين النهرين في عهد برديصان » اي في القرن الثاني . وقال الاستاذ احمد امين : « كان للسريان في ما بين

النهرين نحو خمسين مدرسة تعلم العلوم السريانية واليونانية ، وكانت هذه المدارس تتبعها مكتبات » وقال البحاثة جرجي زيدان : « والسريان اهل ذكاء ونشاط فكانوا كلما اطمأنت خواطرهم من مظالم الحكام وتشويش الفاتحين انصرفوا الى الاشتغال في العلم فانشأوا المدارس للاهوت والفلسفة واللغة ، وتعلموا علوم اليونان ونقلوها الى لسانهم وشرحوا بعضها ولخصوا بعضها » . وقد احصى البطريرك افرام برصوم في كتابه النفيس : « اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية » واحداً وعشرين موطناً ومعهداً . اشتهرت وازدهرت معظمها في الفترة الواقعة ما بين القرن الرابع وحتى اوائل الحادي عشر حيث نرى نخبة كبيرة من العلماء يتخرجون منها ويحملون مشعل الثقافة السريانية عالياً .

وبعد القرن الحادي عشر ، نجد ان شعلة العلم لم تنطفىء من الكنيسة حتى بعد اضمحلال تلك المعاهد والكليات . فنحن نرى ما بين الفترة الواقعة بين القرن الحادي عشر والى نهاية الثالث عشر ظهور علماء اعلام يشار اليهم بالبنان امثال ابن الصليبي ١١٧١ م والمؤرخ البطريرك ميخائيل الكبير ١١٩٩ م وسويريوس يعقوب البرطلي

١٢٤٦ م . وابن المعدني ١٢ م واخيراً ابن العبري ١٢٨٦ م . هؤلاء جميعـــاً قـرأوا على انفسهم او على بعض الافراد وبشكل غير نظامي اذ لم يكن مدارس بالغ الاهمية كالرها ونصيبين وقنسرين . بدليل ان ابن العبري عندما يتكلم عن يعقوب البرطلي في تاريخه الكنسي يقول « استفاد علمه من نفسه بفضل المطالعة » ويقول ايضاً ابن العبري في مقدمة كتابه الموسوم بالحمامة « في هذا الزمان الذي فيه انعدمت السريانية من معلم » ويقول البطريرك افرام برصوم عن ابن العبري « قرأ على نفسه »(٢) .

وبعد القرن الثالث عشر الذي فيه احتل المغول هذه البلاد وكثرت الغارات والمصائب ، قوضت على الآثار المتبقية من المعاهد الدينية ، وسيطر العنف وملكت الشراسة .

ونرى ايضاً في سجل التاريخ بعض الافراد يصرفون همـــة في انعاش العلم والمدارس منهم البطريرك اغناطيوس الثـالث داود ١٢٢٢ - ١٢٥٢ الذي انعش الروح العلمية في الكنيسة ، وشجّع ذوي المواهب للبروز ، واسس في

---

(٢) اللؤلؤ المنثور ص ٥٢٢ .

كل مكان مدارس على حسابه الخاص واختار لها المعلمين والاساتذة ، ودفع لهم الرواتب ، وجمع مئات بل الوف من الطلاب الى رياض العلم واسس المكتبات وخزائن الكتب في كل مدرسة . ومنح مكافآت سنية للمتفوقين بالعـــلم والعمل .

ولنأتي الآن الى ذكر اهم تلك المدارس واشهرها :

مدرسة نصيبين الاولى

في مدينة نصيبين ، العريقة في القـدم ، والواقعة على الحدود الرومانية الفارسية ، والتي دعيت « انطاكية مقدونيا » انشأ مار يعقوب اسقف نصيبين هذه المدرسة التي سميت بمدرسة نصيبين الاولى . امّهـا الطلاب من معظم بلاد الشرق ، وجعل مار يعقوب مار افرام السرياني معلماً فيها . ولمـا توفي مار يعقوب عام ٣٣٨ ظل مار افرام يدير هذه المدرسة بغيرة ونشاط وفي زمان خلفاء مار يعقوب اعني بهم مار بابو ومار اولغاس ومار ابراهام . وتقدر المـدة التي مكث فيها مار افرام في هذه المدرسة ثمانية وثلاثون ٣٨

سنة من ٣٢٥ - ٣٦٣ حيث اضطر الى تركها لوقوع مدينة نصيبين بايدي الفرس ، وتوجه الى الرها .

كانت اللغة السريانية ، اللغة الرسمية لهذه المدرسة ، وكان يُدرّس فيها العلوم الكتابية والدينية . وقد انجبت علماء كثيرين ، ولكثرة المتخرجين منها سميت نصيبين « دار العلوم » و « مدينة المعارف » و « ام الملافنة » .

مدرسة الرها(٣)

انشئت هذه المدرسة منذ ان اعتنقت الرها المسيحية في القرن الاول الميلادي . وكانت محجة طلاب اللغة السريانية الفصحى .

وفي حدود سنة ١٧٢ وجد في الرها ططيانس الفيلسوف السرياني حيث وضع كتابه المعروف « دياطسرون » . وفيها ولد برديصان عام ١٥٤ الذي توقل سلم اللغتين السريانية واليونانية ، وتعمق في العلوم الفلسفية .

---

(٣) من المراجع التي اعتمدنا عليها : اللؤلؤ المنثور - تاريخ كنيسة انطاكية مج ١ اغناطيوس يعقوب الثالث .

ان ظهور هذه المدرسة بشكل يلفت النظر ، وباسلوب نظامي يبتدىء في عام ٣٦٣ عندما اضطر مار افرام السرياني الى مغادرة نصيبين وطنه الاول ، واتخاذ الرها موطناً ثانياً . فسعى الى اعلاء شأنها بتصدره للتدريس فيها عشر سنوات . حتى رنّ صيتها في الاقطار ونالت قصب السبق على جميع مدارس ما بين النهرين ، فأمّها طلاب العلم من بلاد الشرق وفارس . وكانت تشتغل بالعلوم اللاهوتية والتفسيرية والفلسفية والادبية باللغتين السريانية واليونانية . وعنيت بنقل مصنفات الآباء الذين كتبوا باللغة اليونانية الى اللغة السريانية ، وقد لعبت دوراً هاماً في عالم الادب واللاهوت ، وفيها ابتدأ السريان يشتغلون بفلسفة ارسطو في القرن الخامس للميلاد .

وقد تخرج من هذه المدرسة نخبة صالحة من الادباء والعلماء والشعراء منهم بولس بن عرفا الرهاوي مستنبط القلم السرياني المعروف بالاسطر نجيلي نحو سنة ٢٠٠ م . وثاوفيلس الرهاوي كاتب اخبار الشهداء كوريا وشمونا ، والشماس حبيب ٣٠٧ - ٣٠٩ ولوقيانس الشهيد مؤسس مدرسة انطاكية اللاهوتية ٣١٢+ . ومن تلاميذ مار افرام آبا الذي فسّر الانجيل ، واسونا الذي نظم قصائد

بليغة بالبحرين الرباعي والسداسي ، واسحق الآمدي ، وقورلونا الشاعر نحو سنة ٣٩٤ .

وبعد وفاة مار افرام سنة ٣٧٣ خلفه في رئاسة المدرسة قيورا ، فاجتمع اليه تلامذة كثيرون من كل قطر ومن جملتهم نرساي وبرصوما ومعنا(٤) . وقد تنلغل التعليم النسطوري في هذه المدرسة فحاز به معظم خريجيها منهم هيبا الرهاوي واقاق الجاثليق ، وبرصوم النصيبيني ، ونرساي ، وكانوا قد ترجموا الى الآرامية مؤلفات ثاودورس المصيصي الذي شاع صيته في تلك النواحي . وكان رابولا اسقف الرها ٤١٢ ـ ٤٣٥ يقاومهم بعنف وشدة . وفي عام ٤٣٥ توفي مار رابولا الرهاوي فخلفه هيبا وهذا كان نسطورياً كما علمنا ، فعيّن نرساي النسطوري رئيساً لمدرسة الرها خلفاً لقيورا الذي توفي عام ٤٣٧ . وافرغ هيبا كنانة جهده في نشر تعاليم نسطور حتى عزله المجمع الافسسي الثاني عام ٤٤٩ . ولما دخل مار اخسنايا « المنبجي » المدرسة رفض مع غيره الآراء النسطورية . وفي عام ٤٥٧ هلك هيبا وخلفه نونا وكان ارثوذكسياً . فطرد نرساي

---

(٤) ادى شير : مدرسة نصيبين الشهيرة ص ٨ .

وكل من تشبث ببدعة نسطور ، وبسبب تفاقم امر هذه البدعة في هذه المدرسة ، قوضها القديس قوراً مطران الرها سنة ٤٨٩ بامر الملك المؤمن زينون ، فتشتت شمل اساتذتها وطلابها . قال مار يعقوب السروجي « افسدت الشرق كله » وقيل التجأ بعض اساتذة الرها النساطرة عبر الحدود التركية الى حران واقاموا فيهامعهداً علمياً جديداً او اعادوا فتح معهدها القديم(٥) .

عاشت هذه المدرسة ١٢٦ سنة من ٣٦٣ - ٤٨٩ وابتدأت بشكل نظامي بمار افرام . وانتهت بنرسي الملفان .

مدرسة نصيبين الثانية(٦)

انشأ هذه المدرسة نرساي الاستاذ والكاتب المشهور ، وبرصوما مطران نصيبين ، النسطوريان ، لتكون بديلاً عن مدرسة الرها التي تشتت شمل تلاميذتها في اواسط القرن

---

(٥) فيليب حتي : تاريخ سورية مج ٢ ص ١٧٥ .
(٦) من ابرز المراجع التي اعتمدنا عليها : ادى شير : مدرسة نصيبين الشهيرة . طبع بيروت ص ١٩ .

الخامس كما علمنا . وقد نظم برصوما لهذه المدرسة قوانين وانظمة تتعلق بالدروس والفروض للسير بموجبها . فكان يسوسها رئيس يدعى RABAN « ربان » اي معلمنا ويسمى ايضاً ܡܦܫܩܢܐ اي المفسر لان من اخص وظائفه ان يفسر الاسفار الآلهية . وفي شرحه اياها كان يعتمد على ثاودورس المصيصي وعلى مار افرام الملفان . فشروح ثاودورس للكتاب المقدس يسمونه ܦܫܩܐ اي التفسير، وشرح مار افرام يدعونه ܡܦܫܩܢܐ اي التقليد ، وانما سمّي تقليداً لانه اتى بالتقليد من فم لفم . وكانوا يدعون تفاسير نرساي ܡܦܫܩܢܐ ܕܢܪܣܝ اي التقليد المدرسي.

وبعد المفسر يأتي المقري والمهجيء ܩܪܝܢܐ ܘܡܗܓܝܢܐ فالمقري يعلم صناعة النحو والالحان الكنسية وربما كان يعلم ايضاً تأليفات الآباء اليونانيين . والمهجيء كان يعلم القراءة الفصيحة للمبتدئين . وبذلك اصبحت هذه المدرسة كلية منظمة ، واخذ يؤمها الطلاب من كل صوب حتى اناف

عددهم على الالف . وطار صيتها الى ايطاليا وافريقيا(٧) ، وكانت تعالج مختلف العلوم من لغوية وكتابية وتفسيرية ولاهوتية وفلسفية .

كانت امور هـذه المدرسة وقوانينهـا على ايام برصوما تمشي على احسن ما يرام ، ولكن بعد وفاته بدأ التلاميذ ان يستخفوا بالقوانين التي رسمها . فوقع بسبب ذلك خلاف ونزاع عظيمان في المدرسة . فتقدم بعض التلامذة الغيورين الى هوشاع خليفة برصوما ، وطلبوا اليه ان يضع قوانين جديدة فاشار عليهم ان يستشيروا نرساي الملفان ويوناف كاتب المدرسة ويجمعوا رأيهم على القوانين التي يستحسنونها فلبوا امره ورسموا واحـداً وعشرين قانوناً كلفـوا انفسهم بحفظها ، وكان ذلك سنة ٤٩٦ . وقد طبع هذه القوانين العلامة كيدي سنة ١٨٩٠ .

وبعد ان علم نرساي في هذه المدرسة اكثر من اربعين سنة توفي ، وفي عام ٥٠٧ خلفه تلميذه يوسف الاهواري ، فبدل اللفظ السرياني الرهاوي باللفظ النسطوري الذي يعرف اليوم بالكلداني ايضاً .

---

(٧) السمعاني : المكتبة الشرقية مج ١ القسم الاول ص ٩٢٧ .

وفي عام ٥٧٢ ترأس المدرسة حنانا الحديابي ، ويثني عليه برحديشبا ثناءً جزيلاً ويصف فضائله العديدة الحميدة . وكان هذا ارثوذكسياً مناهضاً لتعاليم نسطور ، ومن اجل ميله الى الارثوذكسيين كان بولس مطران نصيبين النسطوري قد طرده من المدينة ، ومكث يدور في بلدان المشرق ، ثم رجع الى المدرسة وقام برئاستها وصار له تلاميذ كثيرون جهابذة في العلم والتآليف قيل انهم بلغوا ثمانمائة .

اما تعاليم حنانا التي كانت تميل الى الارثوذكسية سبّبت في الكنيسة الشرقية نزاعاً كبيراً ، دام زماناً طويلاً مما ادى بغريغوريوس الكشكري اسقف نصيبين النسطوري ان يحرم كتبه وحرم كثيرين من اشراف نصيبين الذين تحزبوا له . غير ان سبريشوع الجاثليق وقف الى جانب حنانا ضد غريغوريوس المطران ، الامر الذي شقّ على تلاميذ المدرسة ، فكرهوا الاقامة فيها وتركوها وكانوا نحو ثلثمائة نفس ، ولم يبق في المدرسة غير عشرين نفراً ودونهم صبيان . غير ان بعض الذين تركوا المدرسة رجعوا اليها ثانية وهم المتمسكون بتعاليم حنانا ، وحدث هذا كله عام ٥٨٢ ومنذ ذلك الحين انحط شأن هذه المدرسة .

ومهما يكن من الامر فان حنانا انعش الروح الارثوذكسية في هذه المدرسة ، وقد اعتنق تعاليمه كثيرون من اهل نصيبين . وتبعه بعض رجال الاكليروس ، وحتى ان الجاثليق سبريشوع تحيز الى آرائه الارثوذكسية .

عاشت هذه المدرسة اكثر من ٢٥٠ سنة ، وهي اول كلية لاهوتية كان يؤمها بضع مئات من الطلبة قيل انهم بلغوا الالف في اوج عزها .

مدرسة دير مار متي

دير مار متى من الاديرة السريانية البارزة في العراق . لعب دوراً هاماً في تاريخ كنيسة المشرق ، لا بل كان دعامة كنيسة المشرق لعدة قرون . تأسست مدرسته في اوائل القرن الخامس الميلادي إلا اننا لا نعلم شيئاً عن اخبارها حتى اوائل القرن السابع وقد اشتهرت في القرن الثامن وما بعده . ومن اشهر اساتذتها مار ماروثا التكريتي ٦٢٨ الذي كان يدرس تفسير الكتاب المقدس واللاهوت ، وشرح مصنفات الملافنة كما وضع للرهبان وطلاب هذه

المدرسة نظاماً بديعاً(٨) ، وراميشوع وجبرائيل وسبريشوع في القرن السابع . الاول والثاني كانا من اساتذة مدرسة بيت شاهاق ، وفي الدير اكبوا على ضبط كتب الدير بالنقاط وتصحيحها وتشكيلها .

وظهر بعض العلماء في دير مار متى هم مار سوريوس يعقوب البرطلي ١٢٤١ + وابو نصر البرطلي ١٢٩٠ ، وعاش في الدير بضعة سنوات العلامة ابن العبري ١٢٨٦ + .

اشتهرت مدرسة دير مار متى بالامور اللغوية ، ومن الاساتذة اللغويين رابان داود بن فولوس ، الراهب حذبشاربا ، راميشوع وسبريشوع . ومن اشهر خريجي هذه المدرسة : دنى الاول مفريان المشرق ٦٥٩ + يوحنا الاول ٦٨٨ + حنانيا مطران ماردين وكفرثوت ٨١٦ + مؤسس دير الزعفران .

مدرسة بيت شاهاق

في كورة نينوى ، انشأها الربان داود بن فولوس آل بيت ربان في اواسط القرن السابع . وكانت بيت شاهاق

---

(٨) ابن العبري : التاريخ الكنسي مج ٣ ص ١١٠ .

يومذاك اقوى بلدة في تلك الكورة مثل بيت لافط وتخرج فيها راميشوع وجبرائيل ولدا الربان داود بن فولوس وتعينا مدرسين فيها ، وعملا معاً مع والدهما مدة ، نبغ منها اساتذة مهرة كثيرون .

مدرسة دير سرجيسة(٩)

اسس هذا الدير بعض رهبان دير الزعفران وفي مقدمتهم الراهب « كيسو » وذلك في النصف الثاني من المئة العاشرة ويقع في جوباس ، ضواحي ملطية . ودعوه باسم سرجيسية لذخائر وضعوها فيه للشهيدين سرجيس وباخوس وذلك سنة ٩٥٨ ثم استقدم الرهبان اليهم العلامة الراهب يوحنا تلميذ مارون ، فاخذ يدرس فيه حتى ذاع صيته ، وتقاطر اليه الطلاب من كل صوب واضحى الربان كيسو اول رئيس لهذه المدرسة .

---

(٩) اهم المصادر التي اعتمدنا عليها :
عصر السريان الذهبي : لطرازي . مجلة آثار الشرقية للرحماني :
تاريخ دير الزعفران : الاب افرام برصوم .

اما يوحنا المشهور بمارون فهو امام عصر علماً وقداسة كان بارعاً في الفلسفة مبرزاً فيها علم في دير سرجيسية زهاء تسع وعشرين سنة حتى اذا اشتهر أمّته طلبة الادب من كل حدب يقرأون عليه . ونحو سنة ٩٨٧ تقدم اليه كليب الحاكم بالخروج الى دير بدأ بتشييده راهب يعرف بابن حاجي ، وعاجلته المنية قبل ان يأتي عليه فكمّله يوحنا واجتمع عنده الرهبان يقتبسون الحكمة . وبعد ان درّس فيه اثنتي عشرة سنة اتى دير مار اهرون في الجبل المبارك وفيه توفي سنة ١٠٠٣ .

وخلف كيسو في الرئاسة تلميذه الربان ايليا الذي جمع مكتبة نفيسة ضم اليه اصناف الكتب . وخلف الربان ايليا الربان يوحنا الذي طوّر شؤون المدرسة تطوراً جيداً فوضع القراء والمفسرين ، وشيّد الابنية للتلامذة والمعلمين والنساخ ، فظهر منهم جماعة من رؤساء الكهنة ذكر منهم مار ميخائيل اثني عشر فيهم اغناطيوس الثاني المفريان ، وطيمثاوس الكركري وكلاهما من مشاهير عصرهما .

ظلت هذه المدرسة حتى عام ١٠٦٦ حيث امتدت يد الخراب الى الدير فعبثت به وبمدرسته ومكتبته .

مدرسة دير قرقفتا(١٠)

دير قرقفتا ومعناه الجمجمة او قمة الجبل ، دير قديم مشهور شيّده مار شمعون . كان مركزاً خطيراً لعلم الكتاب المقدس واللغة السريانية . قال العلامة ابن العبري في كتاب نحوه الموسوم باللمع « قد اصطلح بعض العلماء القرقفين الغربيين على خمس حركات وهي الزقاف والفتاح والرباص والحباص والعصاص » وقال دوفال « ان الذي ضبط لهجة الكتاب العزيز ونقّح ترجمته هو يعقوب الرهاوي وذلك سنة ٧٠٥ واقتدى به رهبان علماء اوقفوا حياتهم على درس ترجمة الكتاب اخصهم رهبان دير قرقفتا المنسوبة اليهم الترجمة القرقفية . وقد اشتهر منهم طوبانا وكان مقيماً في بعض تلك الاديار ، وسابا وكان جليلاً عندهم لفقه فيه وعلم ، وله كتب مليحة منسوخة سنة ٧٢٤ - ٧٢٦ تشعر بتاريخ ازدهار هذا العلم عند السريان . وقد تخرج من هذا الدير بعض الاساقفة .

---

(١٠) الاب افرام برصوم : تاريخ دير الزعفران ص ٤٧ .

مدرسة دير سرجيس المعلق(١١)

يظن تأسيس هـذا الدير في القرن الخامس وبني باسم النساك الثلاثة سرجيس وزعورا وباعوث وكان على قمة الجبل الفاصل فوق مدينة بلد غربي الموصل ـ العراق . واشتهرت مدرسته في القرنين الثامن والتاسع ، وتخرج فيه مفريان وبعض الاساقفة وكانت هذه المدرسة كلية لاهوتية بدليل تخرج بعض العلماء منه امثال العلامة اللاهوتي الكبير موسى بن كيفـا مطران بارمان والموصل ٩٠٣ + واشتهر من اساتذة هـذه المدرسة الربان قرياقس استاذ موسى بن كيفا . وارتأى المطران بولس بهنام ان الربان انطون التكريتي احد نوابغ القرن التاسع تلقى العلم في هذا الدير . واصبح هذا الدير كرسياً اسقفياً منذ سنة ١١٦٧ ـ ١٢٨٤ .

مدرسة دير مار برصوم(١٢)

ازدهرت في دير مار برصوم مدرسة للعلوم البيعيـــة

---

(١١) البطريرك افرام برصوم : لمعة في تاريخ الامة السريانية في العراق.
ابن العبري : تاريخ المفارنة . مجلة لسان المشرق السنة ٣ ص ٢١٩
(١٢) ابن العبري : تاريخ البطاركة في ترجمة ميخائيل الكبير . اللؤلؤ المنثور ص ٢٠ مجلة لسان المشرق السنة ٣ ص ١٧٤ .

واللاهوتية واللغوية من المئة الثامنة والى اواسط القرن الثالث عشر . وقدمت نخبة صالحة من النوابغ امثال البطريرك ابو الفرج ابن كامرا ١١٢٩ + واغناطيوس الثالث مطران ملطية ١٠٩٤ + ومار ميخائيل الكبير ١١٩٩ + وغيرهم . وكان هنالك علاقة وثقى بين مدرسة ملطية ودير مار برصوم . فان التاريخ يحدثنا ان بعض رهبان دير مار برصوم تثقفوا في مدرسة ملطيـة . وكانت مدرسة ملطية زاهرة بعلمائها ومعلميها ونظمها وقد تخرج منها نوابغ كثيرون امثال يوحنا ابن الصابوني مطران ملطية الشهير ١٠٩٥ وشقيقه ابو غالب مطران الرها ١١٢٩ وابن الصليبي مطران آمد ١١٧١ . ويذكر التاريخ ان ديونيسيوس ابن موديانا مطران ملطية المنقول من كرسي جوباس سنة ١١٠٢ احيـا العلوم في ملطية .

واشتهر من معلمي مدرسة ملطية القس ابدوكس الملطي وكان لغوياً كبـيراً علّم فيهـا اللغة السريانية وضوابطها . وألّف كتاباً في ضوابط اللغة السريانية سماه « ضبط القراءات » ومن اشهر خريجي مدرستي دير مـــار برصوم وملطية : البطريرك يوحنا بن عبدون ١٠١١ + والبطريرك باسيليوس

١٠٧٥ + والبطريرك ديونيسيوس لعازر ١٠٧٨ + والبطريرك اثناسيوس ابو الفرج ابن كامرا ١١٣٠ + والبطريرك مار ميخائيل الكبير ١١٩٩ + وغيرهم .

مدرسة دير قنسرين(١٣)

دير قنسرين او قنسري Kenneshrin كان ديراً مشهوراً على شاطىء الفرات . وقنسرين لفظ سرياني مركب من كلمتين ومعناه وكر النسور . وهو اسم اطلق عليه في القرن السابع للميلاد ، وتغلب على اسمه الاول وهو افتونيا دير افنوتيا نسبة الى رئيسه القديس يوحنا الشهير بابن افتوينا الذي انشأه حوالي سنة ٥٣٠ وجعله مركزاً خطيراً للسيرة الرهبانية ، ومنهلاً صافياً للعلوم اليونانية والسريانية .

شاع ذكر دير قنسرين في التاريخ الكنسي طيلة اربعة قرون جاد فيها على البيعة المقدسة بمشاهير العلماء وافاضل

---

(١٣) التاريخ الكنسي لابن العبري . المجلة البطريركية في القدس . السنة ٤ ـ ١٩٣٧ ص ٢٦٥ ـ ٢٧٨ مقالة « دير قنسرين » لاغناطيوس افرام برصوم .

الاحبار والرهبان والقديسين منهم سبعة بطاركة انطاكيون وهم مار يوليـان الثاني ٥٩١ - ٥٩٥ ، اثناسيوس الاول الجمال ٦٣١ + مار ثاودور ٦٤٩ - ٦٦٧ مار اثناسيوس الثاني ٦٨٤ - ٦٨٨ يوليان الثالث ٦٨٨ - ٧٠٨ جاورجي الاول ٧٥٨ - ٧٩٠ ديونيسيوس الاول التلمحري ٨١٨ - ٨٤٥ ومن مشاهير الاساقفة والعلمـاء الاعلام ، مار توما الحرقلي مصحح ترجمة العهد الجديد عن النقول اليونانية سنة ٦١٦ . ومار ساويرا سابوخت اللاهـوتي والفيلسوف الرياضي + ومار يعقوب الرهاوي + ومار جرجس اسقف العرب .

وكان التعلـيم في مدرسة قنسرين باللغتين اليونانية والسريانية ، وكانت تدرس فيها آداب اللغة اليونانية وفلسفتها بنوع خاص باللغة اليونانية . وتعلم فيها العلوم اللغوية والادبية والكتابية والمنطقية والفلسفية والطبية واللاهوتية والفقهية .

رفع معهد هذا الدير لواء العلم في بلاد السريان خاصة والشرق عامة واستلفتت بقـــايا تآليف اساتذته وتلامذته انظار كبار علماء الفرنجة والمستشرقين من رجال عصرنا

فاقبلوا عليها بشوق عظيم يحرصون على دراستها ونقلها الى لغاتهم .

هذا وان اكثر علمائنا في القرون السابع والثامن والتاسع نشأوا من هذا المعهد العلمي الكبير ، ولهذا يحق لنا ان نجعله خلفاً لمدرسة الرها السريانية ، بل فاقتها كثيراً .

عاشت هذه المدرسة نحواً من ٣٥٠ سنة ٥٣٠ - ٩١٥ .

مدرسة دير الزعفران

من الثابت ان مطارنة واساقفة كثيرين تخرجوا من هذا الدير ذكر منهم مار ميخائيل ثمانية وعشرين اسقفاً بين سنة ٨١٦ - ١١٧٧ منهم مار ايوانيس اسقف دارا اللاهوتي الشهير ، وسويريوس اسقف سميساط . ومن علماء هذه المدرسة ايوانيس يعقوب بن تشككا اسقف حران ونصيبين والخابور والجزيرة ١٢٢٢ - ١٢٣١ ، والبطريرك اغناطيوس

المعروف بابن وهيب في القرن الثالث عشر . ودانيال المارديني المعروف بابن الحطاب ١٣٢٧ - ١٣٨٣ والبطريرك يوحنا بن شيء الله البرطلي ١٤٨٢ - ١٤٩٣ . ثم نتيجة لما اصاب البلاد من المحن والرزايا انتهى امر هذه المدرسة(١٤) .

(١٤) الاب افرام برصوم : تاريخ دير الزعفران ص ١٣٣ - ١٣٦ .

قصيدة بموضوع دير مار متى

للمؤلف

ومنا وصدت مقالات

مَحْمَدٌ اسمي: سِرْ حَيْثُ شِئْتَ: لَا تَكْفُفْ لِمَسْعَاكَا.
أَحْمَدُ وَصْفِي: مَلَاكُ حُكْمٍ: وَمُلْكُهُ وَسْعَاكَا:
وَهِيَ حَمِيدَةٌ: وَهِيَ حَيْرَى: أَوْضِحْ رُبُوعَاكَا.
مَرْيَا حَلَفَا: وَمَا وَصَفَا: لَمْ يَسْعَ مَسْعَاكَا.
مَحْمُودُ مَلْفَا: لَمْحَةُ مَلَكٍ: خَفَّا أَبْصَارَنَا.
مَحْمُودُ مَلْفَا: لَمْسَةُ يَدِهِ: جَنَّا مَدِينَاكَا:
يَا صَاحِبَ مَفْرُوقَا: وَنَالَا مِيتَمَا: حَظَّاهُ تَحْيَاكَا.
وَرْهَامُ بَ: مَنْ تَكَلَّمَ: نَكْبَةُ صَحْرَاكَا.
يَا مَدِينَةَ وَمَا: وَمَا وَمَنَا: عَفَّ سِرُّنَا.
لَهْفَتَنَا وَمَسَا: وَمِيزَابِ لَحْفِ: وَمَلَحَ لَاهُوتَا:
الْحَمْرَا حَمَلَ: بَهِيَّةَ أَمَلَ: حَرَمَلَ بَهَوَا.
مَدَنِيُّ حَيَّنَا: مَلْفَا وَحَنَّا: وَنَهَا الْأَنُورُ.
سَبِيلُ الْكَنَعَا: نَحْمَا خَتَمَا: وَمَدَتْ مَعَدَنَا.
حَقِيمُ حَوْرِيمَ: رُحْمَ نَبِيهِ مَالِهِ: لَحَمَا حَمَدَنَا:
مَحْجُوبُ الْكَفَا: مَوْحَدَاكَ: حَرَمَا مَحَنَا.
مَلْحَمَةُ وَمَمَا: حَلَمُوا سَحَهُ: مَا بِيَ مَيْ سَحَنَا.
الْحَمْرَا حَمَلَ: حَرَمَ حَبَسَ: حَمَلَ سَا أَحَوَا.
مَوْمِيَّ وَحَمِيمَ: وَمَحْمِيَّ وَمَامِيَّ: حَرَمَا أَمَنَا:

(تابع) قصيدة بموضوع دير متى

سحيم بن حامد: صاح ضاحك: هذا مضحكا.
هاج حزنا: همم لا تملا: مج أمكنا.
كذه لحظها: وعذب مذهبا: وهيا حدثنا.
ونا مقتنصا: وساجه حاجبه: ما مج بعدنا.
وهبي برف: حيثما مطلع: هذه صدقنا.
وحه ذلك ما: مدحت بحيا: اذن مولاها.
ساحة لحظها: وكنا لحظها: وحبا حبنا.
باويم مذبت: وهوا وسنا: حقا لحظنا.
ملحا وحيا: اصغ مصغى: سيف وزر.
ماء وحهها: هسعده ١٩: لهج بلغتا.
هذا رمحه: حلا نغمها: فاذا مج بهوا.
وحن بحنما: حموا وسنا: حكم ومضا.
هنه ها وجهه: هحب منها: لحظا بعدهوا.
حفت وحيدها: حرسنا هوا: حارسا بهيتا.
حطا وحده وبابا: حنا وملكا: ماصلى مادنا.
لا مده فا أبا: وارق وهبا: حبا حجبنا.
لحظ وابكاه: حسنه وهما: اف كاسنا.
الا مهلا ب: واكنه هكذا: ماذا حنوا.
مج هنه وهما: لحظ حلا بهوم: مذهب عجبنا.
لحين سحيقا: نفس وحسنه: لحظ اهبنا.
وجه مذهب: ذلا ما وتعب: مهما بهيتا.
محبوبا بلحظه: حم ساحا: وهو حنفنا.

"معجزة مع حاجا"
مكة

الخط السرياني

الخطاطون والنساخ السريان كيفية النسخ
الخط السرياني والفنون الجميلة

المكتبات السريانية

مكتبة دير قرتمين مكتبة دير مار متى
مكتبة دير السريان بمصر مكتبة دير مار برصوم
مكتبة دير الزعفران مكتبة دير مار مرقس
تلف المخطوطات اقدم المخطوطات السريانية

الخط السرياني

ان الخط السرياني من اقدم الخطوط ، ذلك ان الآراميين ، نشروا مع لغتهم خطهم ، وقيل انهم اخترعوا للغتهم قلماً قيل انه المسماري . وقد وجدت كتابات آرامية في شمالي انطاكية وفي خرائب نينوى وجزيرة اسوان بمصر ، يرتقي عهد اقدمها الى القرن الثامن ق . م . وقد بقي الآراميون يستعملون هـذا الخط حتى القرن الاول بعد الميلاد . ثم اخذ آراميو الرها وبابل وتدمر والجام وفلسطين وحوران يتفننون فيه حتى تفرع منه لكل قوم قلم خاص بهم ، فتولد من ذلك القلم السامري والقلم التدمري والقلم النبطي (الذي منه نتج القلم الحميري العربي ومن هذا تولد القلم الكوفي ومنه نشأ القلم العربي المعروف اليوم) والقلم البابلي الذي يستعمله اليهود لكتابة الكتاب المقدس . كما اخذ الارمن والفرس والهنود خطوطهم من اصول آرامية .

واما بعد المسيح فعرف الخط الاسطرنجيلي او المفتوح ويقال له الخط الانجيل الرهاوي استنبطه بولس بن عرقا او عنقا الرهاوي في اوائل القرن الثالث ، وهو ابدع الخطوط السريانية حسناً ، بل هو منبع سائر الخطوط السريانية

لانه اول قلم سرياني عرقاً وشهرة ويسمى ايضاً المستدير وحروفه شبيهة بالقلم البابلي والتدمري ومعظم المخطوطات القدمى المصونة الى هذا اليوم مكتوبة بهذا القلم ، ودام استعماله على التمادي حتى المئة الرابعة عشرة . ولا يزال الى الآن يزين به الخطاطون رؤوس الفصول في مخطوطاتهم ، وقد احصى البطريرك افرام برصوم زهاء مئة وثلاثين ١٣٠ خطاطاً حاذقاً من سنة ٤٦٢ - ١٢٦٤ كتبوا بالقلم الاسطرنجيلي على اشكال ثلاثة غليظ ، ووسط ، ودقيق . وروى العلامة ابن العبري « ان يوحنا السيبريني مطران دير قرتمين ٩٩٨ - ١٠٣٤ جدّد عهد القلم الاسطرنجيلي في طور عبدين وما اليه بعد اندثاره زهاء مئة سنة . فعلّم اولاد اخيه الرهبان عمانوئيل وبطرس و NIHEH يعيش هذه الصناعة بعد ان تعلمها هو من النظر في المصاحف ، فكتب اولهم الراهب الشماس عمانوئيل سبعين مجلداً من اسفار العهدين بحسب نقولها البسيطة والسبعينية والحرقلية ومن الميامر ، بثلاثة اعمدة فزيّن دير قرتمين بمخطوطات لا مثيل لها في الدنيا » .

والقلم الثاني هو القلم السرياني الغربي وضع في القرن

التاسع مختلطاً بالاسطرنجيلي لسهولة استعماله . ولم نزل نميزه عنه حتى امسى قائماً بنفسه في القرن الثاني عشر ، وقد يكون القلم المسمى السرطا وبه كان يكتب الترسل ولم نزل عليه . واختصت بهذا الخط الكنيسة السريانية الأم(١٤) .

ثم تولد من الخط الاسطرنجيلي خط آخر في تمادي الازمان . وقد تبناه النساطرة ولا يزال الى اليوم مستعملاً عند الكلدان . وسمي بالخط الكلداني او الشرقي . ونشأ هذا الخط حوالي القرن الثالث عشر(١٥) وهنالك خط ثالث ايضاً مشتق من الاسطرنجيلي وقد وجد هذا في ربوع فلسطين في القرون الوسطى ، واختصت به الفرقة السريانية الملكية لذلك سمي بالخط الملكي(١٦) .

وهنالك اقلام سريانية اخرى عدا هذه اهمها : **المدرسي** (اسكوليتا) وهو قلم المصاحف والتحرير المخفف ويقال له الشكل المدور ، **والدقيق ، والمقطع ، والاكرى** او الاغري

---

(١٤) البطريرك افرام برصوم : اللؤلؤ المنثور ص ٢٦ .
(١٥) المطران يوسف داود : اللمعة الشهية مج ١ ص ١٣٩ .
(١٦) اللمعة الشهية ص ١٣٨ .

وبه كان يكتب الراهب زبينا سنة ١٢٢٧ ، **والمضاعف** او المثنى ، **والجمري** نسبة الى دير جمرا الذي بناه ناسك نسطوري حوالي سنة ٦٧٠ .

وللنساخ السريان في بلاد جوجر خط خصوصي تفرد باسلوبه الجميل وحروفه الدقيقة الناعمة . وقد شغف بهذا الخط الانيق السيد ليونرد هابيل الذي اوفده البابا غريغوريوس الثالث عشر سنة ١٥٨٣ الى بلاد الشرق بمهمة دينية(١٧) .

الخطاطون والنساخ السريان

اشتهر الادب السرياني بجماهير الخطاطين والنساخ . وقد ينيف عددهم على عشرات الآلاف(١٨) . وقد نظم البطريرك افرام برصوم ١٩٥٧ + جدولاً طريفاً الحقه بمؤلفه النفيس اللؤلؤ المنثور عدّد فيه اكثر من ثلاثمائة خطاط عاشوا منذ القرن الخامس وحتى القرن العشرين(١٩) ولا يسعنا ذكر

---

(١٧) طرازي : اصـ ق ما كان مج ١ ص ١٢٠ .
(١٨) عصر السريان الذهبي مج ١ ص ٨٥ ــ ٨٦ .
(١٩) اللؤلؤ المنثور ص ٣٥ ــ ٤٢ .

اسمائهم دفعاً للاسهاب نذكر منهم البطريرك يوحنا بن شوشان ١٠٧٢ + الذي كان يشابر على الكتابة في حله وترحاله حتى انه عند سفره كان يكتب في اثناء الراحة ، ويذكر ابن العبري انه ملأ الدنيا « السريانية » برسائله وكتاباته وخطبه العذبة . وقس عليه الآخرين .

كيفية النسخ

ان المادة التي استخدمت لكتابة الاسفار وغيرها قبل ابتكار الكاغد فهي الرقوق وبخاصة من جلود الغزلان ، وقد ساعدت الرقوق على صيانة الكتاب المقدس وانتشاره ، وصيانة المخطوطات الاخرى لامكان حفظها في اي مكان وتحت اي ظروف جوية(٢٠) ولاجل ذلك سبقوا فانشأوا معامل للرقوق في انحاء كثيرة من بلادهم ولا سيّما في مدينة جبيل احدى عواصم الآراميين ، وفي الرها حاضرة السريان الاباجرة وفي قرقميش بطور عبدين(٢١) . وطريقة الكتابة على هذه الرقوق كانت في شكل اعمدة ،

---

(٢٠) المطران اسحق ساكا : الكتاب المقدس في الكنيسة السريانية ص ٣١ .

(٢١) عصر السريان الذهبي مج ١ ص ٨٧ ـ ٨٨ .

على كل صفحة عاموداً على الأغلب واحياناً ثلاثة اعمدة . وفي سطور متساوية . كما كان يكتب على وجهي الورقة الواحدة عكس الدرج الذي كان يكتب على وجه واحد فقط .

اما الحبر الذي يستعملونه فيمتاز بلونه اللماع الجميل ، وهم يكتبون باقلام القصب ، ويستغنون عن المائدة او الدرج ، فيضعون الورق على ركبتهم . وكانوا يلقون نوعاً معيناً من الخيط على لوحة خشبية وينظمون ذلك على شكل صفحة مخطّطة ، ويكبسون عليها الورق الابيض المعد للنسخ ، فتبدو الاسطر واضحة ومستقيمة .

الخط السرياني والفنون الجميلة

كان للسريان ذوق رفيع في تلوين الحبر وزخرفة وجوه الكتب وصفحاتها بالنقوش المستبدعة والصور المستملة ، وتمويهها بماء الذهب والفضة ، اضف الى ذلك تزيينها باروع الرسوم وابدع الخطوط . وقد جاءت بعض المخطوطات السريانية آية في الفن . وقد عقدنا فصلاً خاصاً في هذا الشأن في كتابنا « الكتاب المقدس في الكنيسة السريانية

الانطاكية » يحمل رقم (٩) من سلسلة الدراسات السريانية الصادرة عن مطرانية حلب السريانية اتينا الى ذكر بعض المخطوطات من الكتاب المقدس ، التي تأنق السريان بنسخها بالزخرفة والنقوش . ولا نرى مانعاً من اعادة ذلك بشكل موجز :

١ ـ **انجيل رابولا** : ان اقدم مصور سرياني وقفنا له على آثار في هذا الفن هو الربان رابولا الذي عاش في النصف الثاني من القرن السادس حيث تولى رئاسة دير مار يوحنا في زغبة . نسخ الانجيل المقدس عام ٥٨٦ م ونمّقه وزيّنه بستة وعشرين صورة ملوّنة تعد من ادق واجمل ما رسمته ريشة مصور . وتمثل هذه الصور حياة السيد المسيح في مختلف مراحلها ، وبعض احداث العهد القديم . تتخللها صورة تمثل يوحنا الانجيلي وفي كلتا يديه درج حوى الآية الاولى من انجيله « في البدء كان الكلمة » ومن ضمن الصور ، صورة تمثل يسوع المصلوب وهي باكورة صور يسوع المصلوب في الكنيسة ، فقد افرغها المصور السرياني في قالب جميل جداً ، ذلك انه صوّر يسوع المخلص معلقاً على الصليب موشحاً بثوب ارجواني مذهب . ورسم

حوله آلات الصلب وتعلو الصليب عبارة « يسوع الناصري ملك اليهود » وقد عرف هذا الانجيل عند العلماء المستشرقين باسم **انجيل رابولا** وهو حالياً في مكتبة فلورنسا .

٢ ـ **في بيعة السريان في صور انجيل اسطرنجيلي** منسوخ عام ١١٤٩ على رق الغزال كتبه الراهب سهدو الرهاوي ووشاه بصور اثرية رائعة .

٣ ـ في عام ١١٦٥ نسخ يوحنا مطران ماردين والخابور اربع نسخ من كتاب الانجيل ورصعها بحروف ذهبية وفضية .

٤ ـ **مخطوطة بخط الراهب عبدالمسيح** من رهبان دير مار جرجس غربي مدينة ماردين عام ١١٧٠ . وقد موّه الخطاط بماء الذهب والفضة رؤوس فصوله وبعض صفحاته التي سبق فطلاها بمختلف الالوان الزاهية والخلابة .

٥ ـ ان مار ميخائيل الكبير البطريرك الانطاكي ١١٩٩ + كان قد تأنق في كتابة **انجيل نفيس** موّهه بماء الذهب والفضة صفحة صفحة ودبّجه بصور شتى ، وجلّده بالفضة ، ثم جعل ذلك المصحف الثمين ضمن صندوق فضي مذهب .

٦ ـ **انجيل دير مار متى** : من مصاحف خزانة دير مار متى النادرة مصحف بديع لانجيل كنسي بالقلم الاسطرنجيلي يقع في ٤٧٦ صفحة خطه احد رهبان دير مار متى يدعى الراهب مبارك بن داود بن صليبا بن يعقوب البرطلي عام ١٢٢٠ وقد افرغ فيه الناسخ كل مواهبه الفنية في تنميق صحائفه ووشاها بالرسوم الباهرة بلغت اربعاً وخمسين صورة ملونة في غاية التأنق والاتقان . وهو اليوم في المكتبة الفاتيكانية .

وجدّد الخط الغربي نحو من مئة وسبعين خطاطاً من القرن الثالث عشر الى يومنا هذا وعلى اشكال ثلاثة غليظ ووسط ودقيق وهو ابدعها واظرافها خصوصاً الشكل المعروف بالكركري نسبة الى بلدة او قلعة كركر بين دياربكر والرها . فان خطاطي هذه الديار نمنموا خطاً دقيقاً في غاية الحسن من سنة ١٥٧٧ ـ ١٨٢٠ واول من عرف بتطريز الشكل الكركري البديع غريغوريوس وانيس آل النجار الونكي مطران قبادوقية ثم الرها ١٥٧٧ ـ ١٦٠٧ نسخ زهاء عشرين مجلداً ، ويضع اناجيل ومزامير بخط منمنم في منتهى الدقة لا يتجاوز طول النسخة سبعة

سنتمترات . وقد شغف بهذا الخط الانيق السيد ليونرد هايبل الذي اوفده البابا غريغوريوس الثالث عشر سنة ١٥٨٣ الى بلاد الشرق بمهمة دينية(٢٢) .

وقد عنى العلماء الغربيون والمستشرقون الى هذا النوع من الفن السرياني ، ووضعوا فيه دراسات كثيرة منهم ج . دي جرفانيون اليسوعي الذي عمل دراسات حول الكتابات والنقوش للمخطوطة السريانية المعروفة بانجيل رابولا التي اشير اليها سابقاً . وكذلك المستشرق جول لوروا صاحب الكتابات والرسوم الآثارية السريانية الذي جمع كل ما تيسر له من نقوش ورسوم والتي بلغت ٤٠٠ لوحة وقد استغرق مشروعه هذا عشر سنوات قام فيها بجولات ودراسات واسعة في مكتبات الشرق والغرب وفي الاديرة السريانية .

---

(٢٢) طرازي : اصدق ما كان مج ١ ص ١٢١ .

المكتبات السريانية

شيّد السريان مئات الاديرة منتشرة في سورية وما بين النهرين وفلسطين ولبنان ومصر وتميزت بعض تلك الاديرة بطابع علمي وعلى مستوى عال جداً ، لا بل عدّت جامعات علمية كبرى ، ومعاهد لاهوتية يشار اليها بالبنان كما سبق . ومن نظم تلك الاديرة ان يكون في كل دير « خزانة كتب » كما قال الاستاذ احمد امين « وكانت مدارس ما بين النهرين تتبعها مكتبات » وتتكون خزانة الاديرة غالباً ممّا يستنسخه الرهبان القاطنون في الدير في مختلف الاحقاب والازمنة وما يسعى اليه رؤساء الاديرة ومن جمع الكتب من هنا وهناك ، هذا بالاضافة الى الكتب الخاصة التي يوقفها المطارنة والاكليروس بعد مماتهم وما يقدم المؤمنون من الهدايا .

واليك اسماء ووصف لبعض تلك المكتبات .

مكتبة دير قرقمين

اشتملت على عدة كتب زاد عددها مار شمعون الزيتوني ٧٣٤ + مئة وثمانين (١٨٠) مجلداً . ثم نسج على منواله داود ابن اخته ويوحنا مطران الدير ٩٩٨ - ١٠٣٤ الذي جدّد الكتابة الاسطرنجيلية بعدما اهملت نحو مائة سنة . وزينها الراهب عمانوئيل ابن اخي المطران يوحنا في اوائل القرن الحادي عشر بسبعين مجلداً نقلها بخطه على الرقوق . وتضمنت ترجمة الكتاب المقدس البسيطة والسبعينية والحرقلية ، ومن فناقيث الصلوات القانونية والميامر وغير ذلك من « المخطوطات التي لا مثيل لها في الدنيا كما قال ابن العبري » .

وفي السنة ١١٦٩ اضاف جبرائيل بن بطريق واليشع اخوه وموسى الكفرسلطي مائتين وسبعين مجلداً الى كتب هذه المكتبة(٢٣) .

مكتبة دير مار متى

من المكتبات السريانية البارزة التي كانت حافلة بالكتب ،

---

(٢٣) اللؤلؤ المنثور ص ٣٠ وعصر السريان الذهبي ص ١٠١ - ١٠٢ .

احصاها المثلث الرحمات مار اغناطيوس افرام الاول برصوم في عداد خزائن الكتب السريانية الشهيرة(٢٤) . وقال فيها فيليب طرازي « انها من اقدم مكتبات الشرق عهداً واوفرها ثروة . . . وكانت غنية بالمخطوطات النادرة التي ذاعت شهرتها في البلاد »(٢٥) .

يبتدىء تاريخ هذه المكتبة في القرن الخامس الميلادي وازدادت كتبها منذ المئة السابعة ، وذاعت شهرتها وانتشر خبر مخطوطاتها النفيسة في حدود سنة ٨٠٠(٢٦) . ولما سمع طيمثاوس الاول جاثليق النساطرة المتوفى عام ٨٢٣ بامرها كتب الى رئيس الدير في استنساخ شيء منها . فقد ورد في رسالته الثالثة والثلاثين ما ترجمته « اطلب اليك ان تذهب مسرعاً الى دير مار متى . وتطالع ترجمة ديونيسيوس اسقف اثينة ، او ترجمة فوقا . وتنظر ايتهما الفضلى ، فتستنسخها او ترسل بها الينا مع ثقة فنعيدها

---

(٢٤) اللؤلؤ المنثور ص ٣٢ .
(٢٥) عصر السريان الذهبي ص ١٠١ نقلاً عن مجلة الآثار الشرقية مج ٣ سنة ١٩٢٨ ص ١٧ .
(٢٦) اللؤلؤ المنثور ص ٣٢ .

اليك بدون تريث »(٢٧) . ومن اثمن ما ضمته هذه المكتبة نسخة جليلة من ترجمة الكتاب المقدس (العهد القديم) المعروفة بـ « هكسيلة اوريجانس »(٢٨) مخطوطة بالخط الاسطرنجيلي على رقوق ، بخط نصيبيني بديع . يوجد في كل صحيفة منها ستة اعمدة . فان الجاثليق المذكور طيمثاوس لما شعر بها استعان بجبرائيل بن بختيشوع كاتب ديوان الخليفة عبدالله المأمون وطبيبه . فاستعارها وبعث بها الى الجاثليق في بغداد . وما كان يظفر بها الجاثليق حتى استدعى ستة نساخ وكاتبين يمليان عليهم نص تلك النسخ . ونقل الجاثليق نفسه ثلاث نسخ عنها بخط يده الواحدة له والاثنتان لجبرائيل . واصابه من جراء ذلك اتعاب ومشقات ونفقات كثيرة تحملها مدة ستة اشهر تقريباً(٢٩) .

وورد في مخطوطة سريانية في خزانة برلين رقم ٣٢٦ اشارة الى ان خزانة دير مار متى كانت في سنة ١٢٩٨

---

(٢٧) دير مار متى الشيخ ودير مار بهنام : للسيد افرام رحماني ص ٩ ـ ١٠ بيروت ١٩٢٨ .

(٢٨) عني المستشرق حرياتي بنشر هذا الكتاب بالغنغراف (ميلانو ١٨٧٦ ، مجلدان) .

(٢٩) دير مار متى الشيخ ودير مار بهنام ص ١٠ ـ ١١ .

تضم فيما تضم مصنفات ابن العبري باجمعها(٣٠) . وقد لمّح الى هذه الخزانة الربان داود بن فولوس في رسالته الى الاسقف يوحنا حيث قال « قدم اماما اللغـة ، راميشوع وجبرائيل الى دير مار متى ورأى رئيس الدير انهما افصح من معاصريهما نطقا وابل ريقا ، اعطاهما قلالي يقيمان فيها . وشرع كل منهما يتناول كتاباً (من نسخة واحدة) خالياً من نقـــاط الضبط وعلامات التصحيح . فيدخل قلايته ويشكله بعلامات . وعند المعارضة لم ير لاحدهما زيادة على صاحبه . وعلى هذه الطريقة شكلا كتباً عديدة(٣١) .

وفي عام ١٢٤١ ضمت اليها كتب مار سويريوس يعقوب البرطلي مطران الدير . ثم اتلفت هذه المكتبة في القرن الرابع عشر . وفضل منها بقية في منتصف المئة السادسة عشرة . وفي سنة ١٨٤٥ وجد فيها زهاء ستين مخطوطاً(٣٢) وقد عني بتنظيمها واضافة كتب اليهـا الاب اسحق سا كا

---

(٣٠) خزائن الكتب القديمة في العراق ص ٨١ كوركيس عداد . واللؤلؤ المنثور ص ٣٢ .
(٣١) اللؤلؤ المنثور ص ٣١٣ .
(٣٢) اللؤلؤ المنثور ص ٤٣ ـ ٤٤ .

ما بين ١٩٧٠ - ١٩٨٠ في عهد رئاسته على الدير(٣٣) .

مكتبة دير السريان بمصر

هو الدير الذي رنّ صيته في الاقطار في القرن السابع حوى خزانة كتب زادها رئيسه الهمام الاب موسى النصيبيني ٩٠٧ - ٩٤٤ مئتين وخمسين مجلداً من انفس الكتب واندر المصاحف واقدمها . وعني بترتيب هـذه الخزانة وتجليد مصاحفها الراهب الفاضل العـالم برصوم المرعشي بعد سنة ١٠٨٤ بتديدة . وكان موجوداً وهـو قسيس عام ١١٢٢ وذكر انه وجد في هذا الدير من الكتب خمسة عشر حمل بعير بعد نهب الرهـا وآمد وملطية وغيرها . وفي سنة ١٦٢٤ احصى القس توما المارديني كتبه فكانت اربعمائة وثلاث مجلدات . فكانت هذه الخزانة اشهر خزائن الكتب السريانية بل هي اقدم مكاتب الدنيا(٣٤) .

---

(٣٣) اعتمدنا في وصف مكتبة دير مار متـى بشكل خاص على كتـاب « خزائن الكتب القديمة في العراق : تأليف كوركيس عواد - طبعة بغداد ١٩٤٨ ص ٧٩ - ٨٤ .

(٣٤) اللؤلؤ المنثـور ص ٢٤ و ٥٤ وعصر السريـان الذهـبي ص ١٠٢ - ١٠٤ .

مكتبة دير مار برصوم(٣٥)

احتل دير مار برصوم مكانة مرموقة في الكنيسة فقد كان مباءة للعلم والمعارف ، وموطناً لكثيرين من العلماء . كما اضحى مقراً للكرسي الرسولي ردحاً من الزمن . لذلك جمعت اليه خزانة كتب جليلة ظهر ذكرها في القرن الثاني عشر حيث اضاف اليهـــا كتباً كثيرة اثناسيوس السادس ١١٢٩ + الذي كان جمّاعة لنفائس الكتب ينقل معه احمالاً منهـا حيثما رحل . وزيّن مار ميخائيل الكبير البطريرك الانطاكي هـــذه المكتبة بمخطوطات نفيسة وافرة معظمها بخطه لانه كان من مشاهير خطاطي عصره . ومن اشهر تلك المخطوطات كتاب ميـامر مار يعقوب السروجي الذي جمع فيه كل ميامر هـذا الملفان . وكتاب ميامر القديس مار افرام السرياني وجمع فيه كل ميامره ايضاً . وكتـاب المواعظ السنوية . على ان اجلّ كتـاب تركه بخطه نسخة

---

(٣٥) المراجع : اللؤلؤ المنثور ص ٣٣ مجلة لسان المشرق السنة الثـالثة ص ١٦٩ التـــاريخ الكنسي لابن العبري . وتاريخ الرهاوي المجهـــول .

من الانجيل المقدس وشى حروفها بماء الذهب والفضة ، وزينها بصور شتى لاعمال الرب وعجائبه ووضعها في صندوق صغير من الفضة وموشى بالذهب . وكان البطريرك ميخائيل الكبير يهوى الخط السرياني ، ويقيّم الخطاطين ، ويثني على كل من يسعى لتوفير المخطوطات ، ومن طريف الامور : ان الراهب برصوم البرطلي من رهبان دير مار برصوم اوقف لمكتبة دير مار ايليا المعروف بدير (قنقرت) انجيلاً بيعياً ، حرقلي الترجمة ، كتب بقلم اسطرنجيلي بديع غليظ على الرق . وقد كافأ البطريرك ميخائيل الربان برصوم البرطلي مكافأة روحية تقديراً لذلك . ذلك بان جعل له ذكراً سنوياً يوم الاثنين ، وامر ان يقدس قسوس الدير خمسة قداديس لاجل راحة نفسه (٣٦) .

وكانت تضم هذه المكتبة ايضاً مجموعة نفيسة كاملة من الفناقيث على مدار السنة وكانت بريشة الخطاط البطريرك مار يوحنا بن شوشان ١٠٥٨ - ١٠٧٢ . وكانت تضم الى جانب الكتب مجموعة من البراءات الملكية التي نالها البطاركة

---

(٣٦) المجلة البطريركية في القدس : السنة السادسة ص ١٤٧ - ١٤٨ .

ورؤساء الاديرة على مر الحقب . كما جمعت اليها من الرسائل البطريركية والمناشير الحبرية والرسائل الايمانية التي كان يصدرها ويتلقاها البطاركة منذ جلوسهم في هـذا الدير . كما ضمّت الى هـذه المكتبة عام ١٢١٥ كل كتب البطريرك يوحنا السادس عشر المعروف ببشوع الكاتب كما ضمّت كتب البطريرك اغناطيوس داود فيما بعد .

وكانت هنالك علاقة وثقى بين خزانة دير مار برصوم وخزانة كتب كنيسة ملطية الكبرى نفسها . فقد كان فيها مخطوطات ثمينة اهمها ما ضمّه اليها البطريرك مار يوحنا العاشر ابن شوشان ١٠٧٢ + وكانت ملطية مشهورة بعمل الرق الذي يستعمل لنساخة الكتب ومن هنا جلب الرق مار يوحنا مطران قرتمين عام ١٢٩٩ .

وقد ألّف الراهب ابراهيم الماردينى سنة ١٣٦٥ مقالة تاريخية وقعت في ثماني صفحات ذكر فيها نفائس الكتب التي كانت في دير مار برصوم البطريركي .

مكتبة دير الزعفران

ان مار حانانيا بعدما جدد الدير جمع فيه كتباً كثيرة .

وان خليفته اغناطيوس ورهبانه اغنوا مكتبته في كل فن فكان هذا الدير مزداناً في مفتتح امره بمكتبة كبيرة نفيسة لكن يد الحدثان لعبت بها مراراً فتبدد جانب من مخطوطاتها الثمينة ، وبعضها وصل الى المكاتب الاوربية والشرقية .

اما اليوم فتشتمل على نيف وثلاثمائة مجلد مخطوط سرياني وعربي اقدمها يرقى الى القرن التاسع للميلاد . وفيها نسخ من ابدع ما خطته انامل الخطاطين . ومن نسخها الثمينة خمسة اناجيل اسطرنجيلية مكتوبة على رق حسب الترجمة البسيطة والحرفلية ترقى الى القرن العاشر حتى الثاني عشر منها نسختان مصورتان بصور بديعة(٣٧) .

مكتبة دير مار مرقس

اسست هذه المكتبة على الارجح في اواخر القرن الخامس عشر حيث جمع مصاحفها بعض المطارنة المولعين بالعلم وعدد صالح منها من بقايا خزانة دير المجدلية . ثم ازداد كتبها وتم تنظيمها في اوائل القرن الثامن عشر .

---

(٣٧) الاب افرام برصوم : تاريخ دير الزعفران ص ١٤٤ ــ ١٤٦ .

في هـــذه المكتبة ٤٠٠ اربعمائة مجلد معظمها باللغة السريانية وعلى الرق . وتضم مجموعة كبيرة من مؤلفات علماء المسيحية الاقدمين ، والملافنة السريان البارزين تتناول مختلف انواع المعرفة .

في سنة ١٩٠١ نشر المستشرق فردرينك ساكله في باريس فهرساً مختصراً لهـذه المخطوطات باللغـة الفرنسية . واقتصر على ذكر اربع وعشرين مخطوطة فقط . وقد نشر الاب يوحنا دولباني (فيلكسينوس يوحنـا دولباني مطران ماردين بعدئذ) بحثاً مستفيضاً عن محتويات هذه المخطوطات على صفحات مجلة الحكمة الصادرة في القدس دير مار مرقس ـ السنة الرابعة(٣٨) .

هذا ونضرب صفحاً عن ذكر المكتبات الاخرى التي حوت كتباً نفيسة امثال : مكتبة دير تلعدا حيث تجد من كتبها في لندن عدد ٧٤٠ كتاب نخب ميامر مار اسحق خط حوالي سنة ٥٧٠ م . ومكتبة دير مار داود ومن حملة مصاحفها كتاب فيلاليتس (محب الحق) للقديس سويريوس

---

(٣٨) ديـــر مـــار مرقس فى اورشليم ص ٣٩ ـ ٣٤ للمطران بولس بهنام .

الانطاكي انجز على عهد رئيس الدير دانيال في القرن السادس او السابع ، وهو في الخزانة الواتيكانية تحت عدد ١٣٩ . ومكتبة دير مار يوحنا في بيت زغبا ومن مصاحفها انجيل قديم نقل سنة ٥٨٦ وهو في خزانة فلورنسا . ومكتبة دير مار يوحنا نيرب تجد من مصاحف كتبها في المتحف البريطاني تحت عدد ٧٣٠ كتاب رسائل مار فيلكسينوس ومقالاته فرغ من نسخه عام ٥٦٩ .

تلف المخطوطات

ان الاحداث المؤسفة التي المّت بهذه البلاد قضت على كثير من تلك المخطوطات النفيسة التي حفلت بها تلك المكتبات الشهيرة . وقد تنوعت تلك الاحداث والكوارث التي اصابت الكتب ، فمن حرق ، الى غرق ، الى نهب وسلب ، الى تلف ، الى بيع الى رهن . وقد تكون آفة الحرق من اقوى الآفات واشدها ، فالتاريخ يحدثنا ان برصوم النصيبيني النسطوري احرق مكتبة دير مار متى برمتها عام ٤٨٠ م فقد جاء في رسالة بعث بها ماروثا التكريتي الى البطريرك مار يوحنا ابي السدرات قائلاً « اعلم يا رئيس الرؤساء ان جميع التواريخ القديمة التي كانت في الدير

احرقها مع الدير ذلك الدنس برصوم »(٣٩) ، وفي الحريق الهائل الذي انتاب دير مار برصوم عام ١١٤٤ احترق شيء كثير من مكتبته(٤٠) . وان طائفة كبيرة من مؤلفات السريان المحفوظة في لبنان والمنقولة اليه من بلاد السريان قد احرقت فقد روى فيليب طرازي : ان الاب يوحنا اليانو قدم الى لبنان عام ١٥٧٨ موفداً من قبل البابا غريغوريوس الثالث عشر وانطلق الى دير قنوبين مركز البطريركية المارونية وجعل يستكشف عما فيه من مخطوطات سريانية وكرشونية فكان اذا عثر على شيء مخل بعقائد الايمان الروماني افرز ذلك المخطوط وعرضه على البطريرك فعلى الاساقفة فاجمعوا اما على اصلاح الغلط او على احراق المخطوط لئلا يبقى عثرة في سبيل المؤمنين ، وعلى هذا النمط احرقوا جانباً من الكتب بحضور رؤساء الدين وجمهور الشعب(٤١) ، وهكذا فعل الاب يوحنا في باقي الاديرة في لبنان . واعاد الكرة مرة ثانية عام ١٥٨٠ فكان يتجول

---

(٣٩) تاريخ مار ميخائيل الكبير مج ٢ ص ٤٢٤ .

(٤٠) ابن العبري : تاريخ البطاركة ـ في ترجمة مار ميخائيل الكبير .

(٤١) طرازي : اصدق ما كان مج ١ ص ٥٠ نقلاً عن مجلة المشرق مجلد ١٧ ـ ١٩٠٤ ص ٤٥٤ .

في كل مكان يبتاع المخطوطات السريانية من اصحابها فيحرقها(٤٢) وفي عام ١٥٩٩ احرق الكسيس دي منيزيس الاغسطيني رئيس اساقفة غوا اللاتيني في بهرة مجمع ديامبور في جنوبي الهند جميع الكتب والطقوس السريانية الخاصة بالكنيسة السريانية في الهند(٤٣) . وفي اواسط القرن الحالي احرقت راهبات دير الشاغورة بصيدنايا شتى المخطوطات السريانية النفيسة النادرة ومعظمها من رق الغزال ، اذ خشي وكلاء هذا الدير من كثرتها ان تكون حجة بيد السريان يتقوون بها على اثبات حقوقهم على الدير . فاجمع رأيهم على اتلافها تخلصاً منها . وبدأوا يحرقونها تحت القناطر . ثم كرهوا ان تذهب نارها ضياعاً فجمعوها في فرن الدير لتكون وقوداً له لمدة اربعة ايام خبزوا عليها خبزتين(٤٤) ، وللغاية نفسها احرق احد اساقفة الروم اليونانيين المشهورين بكراهيتهم للغة السريانية مجموعة سريانية اخرى في دير القديسة تقلا في معلولا وقد نشر فهرسها في ثلاث مجلدات(٤٥)

---

(٤٢) فيه ايضاً ص ٩٧ نقلاً عن المشرق مجلد ١٨ سنة ١٩١٥ ص ٦٧٨
(٤٣) اغناطيوس يعقوب الثالث : تاريخ الكنيسة السريانية الهندية ص ٥٩
(٤٤) احمد لزيات : خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ص ١١٧-١١٨
(٤٥) اغناطيوس يعقوب الثالث : كنيسة انطاكية سورية ص ٣٩ .

كما ان الكلدان الكاثوليك في الازمنة المتأخرة جعلوا فريسة للنار في ملبار وبغداد والموصل كتباً كثيرة نفيسة لكونها تحوي تعليم نسطور او اسمه فقط لا غير(٤٦) ومن الآفات الاخرى غير الحرق ، كالنهب والسلب والتبعثر هنا وهناك ، ومن جملة هذه الاحداث ففي عام ١١٧١ نقلت معظم كتب دير مار متى الى الموصل خشية ان يتلفها الاكراد . وفي سنة ١٢٤١ نقلت كتب مار سويريوس يعقوب البرطلي مطران دير مار متى برمتها الى خزانة والي الموصل . وفي سنة ١٣٦٩ سطا الاكراد على الدير ونهبوه ومكتبته الثمينة . وفي عام ١١٤٨ نهب فيما نهب من نفائس مخطوطات دير مار برصوم جوسلين الامير الصليبي الفرنسي صاحب الرها(٤٧) .

ومن احداث البيع والرهن : يذكر انه لما جاء الى دمشق غريغوريوس يوسف الرابع الكرجي ١٥١٠ – ١٥٣٧ مطران اورشليم استرجع كتباً لدير القدس كان سلفه قد

---

(٤٦) ادى شير : كلدو وآثور مج ٢ ص ٤٠ .
(٤٧) ابن العبري – تاريخ البطاركة في ترجمة مار ميخائيل الكبير .

رهنها(٤٨) . وذكر ايضاً ان احد بطاركة انطاكية اضطر الى رهن وبيع بعض الكتب في القرن السابع عشر ، عندما اراد بنـاء دير الزعفران . وفي خزانة المتحف البريطاني مخطوطة ابتيعت قديماً من دير مار متى يرتقي تاريخ كتابتها الى المائة الحادية عشرة للميلاد .

ومن الاحداث المتـأخرة في غرق المخطوطات الشرقية ما ذكره جرجي زيدان في ترجمة السمعاني اللبناني المتوفى سنة ١٧٦٨ قال انه « تولى العمل في مكتبة الفاتيـكان ، فكلفه البـابا ان يذهب الى الشرق ينقب فيه عن الكتب والمخطوطات ويحملها الى رومية ، ففعل وتفقد ديور الشرق في مصر وسورية والعراق ، وحمل ما وصلت اليه يده من الكتب ، يقال انه حملها في ثلاث سفن ، فغرق منها اثنتان ، وكانت السفينة البـاقية وحدهـــا كافية لاعجـاب اهل الفاتيكان(٤٩) .

وفي سنة ١٧٨٠ حـين انفصل اهل بلدة قرەقوش ـ

---

(٤٨) المجلة البطريركية في القدس : السنة الاولى ١٩٣ ص ١٤٧ .
(٤٩) كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق ص ٣٤ .

الموصل عن الكنيسة السريانية الأم طرحوا في بئر كنيسة الطاهرة بالموصل مجلدات كثيرة من كتب السريان(٥٠) . وعندما هجم الاكراد على دير الربان هرمزد عام ١٨٤٤ فقد تمكن الرهبان من تهريب نحو ٥٠٠ خمسمائة مخطوطة مكتوبة على الرق من عيون المعتدين وايداعها في قبو قديم عند رابية مجاورة للدير ، ولكن سوء الحظ رافق تلك الكتب حتى اتى على آخرها . وذلك انه كان قد سقط مطر مدرار غزير ، وسال تياره من اعالي الجبل فاجتاح ذلك السيل لدى نزوله كلاً من الكتب والبناية التي تحويها معاً . . . وهنالك عدد عظيم من المخطوطات كان قد اتلفه الاكراد فقطعوها ارباً على مرأى من الرهبان ورموا باجزائها في تلك الوهاد التي لا قعر لها ولا حد ، فساقها تيار الوادي الذي كان يسيل بجانب الدير(٥١) .

هذا ، وهنالك احداث اخرى عدا هذه اسهمت في اتلاف الكتب وضياع المخطوطات كاخفائها عن اعين المعتدين بغية صيانتها ومثلما فعل المطران الياس الموصلي الذي ترأس

---

(٥٠) الخوري اسحق ارملة : السريان في القطر المصري ص ٤٧ و ٤٨
(٥١) كوركيس عواد : دير الربان هرمزد ص ٥٠ .

دير مار بهنام في اوائل القرن التاسع عشر لما اصبح مفريانا نحو سنة ١٨٢٥ وتوجه الى دير الزعفران ، وقبل مغادرته الدير اخفى الكتب(٥١) .

لقد كان الرهبان يحرصون كل الحرص على الحفاظ على المخطوطات والكتب ، واعتاد معظم الكتاب ان يذيلوا الكتب بتحذير شديد لمن يجرؤ ان يسرق الكتاب او يأخذه خارج الدير ، ويوردون مثل عبارة « من يسرق هذا الكتاب او يأخذه خارج الدير ليكن له حبل يهوذا الاسخريوطي ، وان يكون محروماً من ملكوت السماء الخ » ولعل الخبر التالي يؤيد ما نحن بصدده :

كانت خزانة دير بيت عابي(٥٢) تضم ما بين ما تضم نسخة فاخرة فائقة الجمال من الانجيل مذهبة ومجلدة تجليداً نفيساً بالذهب الابريز ومرصعة بالاحجار الكريمة . وان

---

(٥١) الخوري اسحق ارملة : انباء الزمان ص ٥٥ .

(٥٢) انشيء هذا الدير في سرج الموصل في اواخر المئه السادسة ، وظل عامراً حتى غارات تيمورلنك في اواخر المئة الرابعة عشرة . وترى اليوم اثاره وانقاضه وراء جبل العقر .

الجاثليق صليبا زخا ٧١٤ ـ ٧٢٨ لما بلغه هذه النسخة المذهبة رغب في ان يستحوذ عليها ويأتي بها الى مقره في المدائن . فجاء الى دير بيت عابي بابهة لا مزيد عليها ليحتازها ، فاستقبله الرهبان بما يليق من اجلال . ولما طلب اليهم اراءته الكتاب ليسرّع فيه رائد الطرف لم يكن من الراهب يوسف رئيس الدير إلا تلبية هذا الطلب دون ان يعلم ما اضمره الجاثليق في سريرته . فاخرج الكتاب من الخزانة وسلّمه اليه وما ان وقع الجاثليق على هذا المخطوط حتى اعجب به ، فداخلته رغبة شديدة فيه واخذه ووضعه في خرجه . فقال رئيس الدير له : ليس لك من حق في اخذ الكتاب بهذا الوجه الجائر : فاجاب الجاثليق انكم معاشر المتوحدين ليس لكم حاجة بهذا الكتاب فدعوا المؤمنون يفرحوا به . وأمر على الفور من كان معه ان يأخذوا طريقهم للعودة . فلما جرى دلك هرع جملة شبان من الرهبان الاشداء ولحقوا بالجاثليق واعترضوا سبيله بالحجارة والعصي ، ولما دنوا منه حطوه عن ظهر دابته وانحوا عليه باللكم والضرب واستردوا منه الكتاب(٥٣) .

---

(٥٣) كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق ص ٩٢ .

ومع هذا كله فقد صانت مكاتب اوربا الشهيرة وبعض مكاتب بلاد المشرق تركة صالحة من تلك الجواهر اليتيمة . وبالرغم ما اتلف حرقاً او غرقاً او نهباً وغير ذلك فقد سلمت منها طائفة عظيمة الى القرون المتأخرة . يؤيد ذلك ما كتبه البطريرك اسطفان الدويهي ١٦٧٠ - ١٧٠٤ عن النساخ في القرن الخامس عشر فقال ما نصّه : « احصينا اسماء من كانوا من النساخ في ذلك العصر مما وقفنا على كتبهم فاذا هم ينيفون على مائة وعشرة نساخ(٥٤) . وقال الاب دنديني في حديثه عن المخطوطات الوافرة التي كان يمتلكها السريان في لبنان « اخبرني احدهم ان (اليعاقبة) ادخلوا عن قرب لبلادهم (لبنان) ما يقارب خمسين الى ستين حمل بغل من كتبهم ما عدا كتاب القداس والفرض الكنسي اللذين يشكوان سوء حالتهما . واما الصالح منها فيحفظ في خزانة مقفولاً عليه بحرص دون العناية بنسخ ما اتلفته يد الاستعمال »(٥٥) . ويتحدث البطريرك ميخائيل

---

(٥٤) طرازي : اصدق ما كان مج ١ ص ١٠٧ نقلاً عن تاريخ الطائفة المارونية للدويهي ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(٥٥) فيه ص ١٠٠ نقلاً عن رحلة الاب دنديني فصل ١٩ ص ٢٤٨ .

الرزي الماروني في القرن السادس عشر الى رئيس الرهبنة اليسوعية العام قائلاً « ان كتبنا بغير عدد(٥٦) .

ان من يطالع فهارس مكتبات الشرق تأخذه الدهشة من وفرة تلك المخطوطات القديمة الباقية على الرغم ما اصابها من الرزايا بكرور الاجيال . منها في الفاتيكان ، ولندن ، وباريس ، واكسفورد ، وبرلين ، وكمبردج ، وفلورنسا ، وميلانو ، ودير الشرفة وفي دور البطريركيات السريانية ، ودور المطرانيات .

ومن بين الذين نظموا قوائم للمخطوطات السريانية : المطران يوسف سمعان السمعاني من لبنان ١٦٨٧ - ١٧٦٨ ناشر قائمة المخطوطات السريانية في مكتبة الفاتيكان . وبول كان من المانيا ١٨٧٥ - ١٩٦٤ صاحب خزانة القاهرة وهي مجموعة مخطوطات سريانية وجدت في مصر . وارنولدفان لا نتسشوف واضع قائمة المخطوطات السريانية في مكتبة الفاتيكان . وجان درسته من بلجيكا ١٩٥٤ .

وفي بلاد الشرق : الاستاذ البحاثة كوركيس عواد .

---

(٥٦) فيه ص ١٤٧ نقلاً عن المشرق مجلد ١٨ سنة ١٩٢٠ ص ٦٨٢

والبطريرك افرام برصوم الذي نظم قوائم لمخطوطات دير القدس وغير ذلك ولا تزال تلك الفهارس مخطوطة بعد . والخوري اسحق ارملة صاحب كتاب « الطرفة في مخطوطات دير الشرفة » . وقد عني مجمع اللغة السريانية في بغداد باعداد فهارس منظمة وكاملة عن المخطوطات السريانية في العراق ونشرها في جزءين عام ١٩٧٧ تحت عنوان « فهارس المخطوطات السريانية في العراق » .

وكان الاب شابو المستشرق الفرنسي قد احصى ثلاثة آلاف ومائة وخمسة وثمانين ٣١٨٥ من المخطوطات السريانية محفوظة لهذا العهد في سبع خزائن فقط في اوربا(٥٧) وكالاتي :

في المتحف البريطاني في لندن	٨٥٠ مخطوطة
في جامعة كمبردج	٢١٥ »
في مكتبة بودلي اكسفورد	٢٠٥ »
في دار الكتب الملكية ببرلين	٣٥٠ »
في المكتبة الفاتيكانية ـ روما	٦٠٠ »

---

(٥٧) الاب شابو الآداب السريانية ص ٩ ـ ١٣ .

في دار الكتب الوطنية بباريس	٣٧٨	ـ
في فلورنسا	١٥٠	ـ
في ارمية ـ مكتبة المرسلين البروتستانت	٢٥٠	ـ

هذا عدا المخطوطات في برمنكهام ، ودبلن ، والقدس ، ودير الشرفة ، ودمشق ، وطورعبدين ، وحلب ، ودير مار متى والموصل ، وبيروت وغيرها(٥٨) .

اقدم المخطوطات السريانية

لا نبالغ اذا صرحنا بان المخطوطات السريانية التي تحتفظ بهـا مكتبات الشرق والغرب هي من اقدم مخطوطات الدنيا واثمنها .

ويروق لنا ان نذكر بعض هذه المخطوطات القديمة المصونة في الخزائن الشرقية والغـربية . في مقدمتها مخطوطات الكتاب المقدس .

١ ـ في المتحف البريطاني في لندن اقـدم نسخة من الانجيل المقدس في اللغـة السريانية هـي النسخة المعروفة

---

(٥٨) محمد عطية الابراشي : الآداب السامية ص ٦٤ .

بالسينائية تمييزاً لها من سواها . خطها الكاتب يعقوب في الرها سنة ٤١١ م . وقد نشر المستشرق بيركيت سنة ١٩٠٤ في كمبردج نصها مع ترجمة انكليزية .

٢ ـ في مكتبة لندن ايضاً خمس نسخ من الكتاب المقدس الترجمة البسيطة مكتوبة منذ سنة ٤٥٠ م بالخط الاسطرنجيلي .

٣ ـ في المكتبة الفاتيكانية نسخة من الكتاب المقدس مكتوبة سنة ٥٤٨ .

٤ ـ في فلورنسا نسخة مصورة من الكتاب المقدس والمسماة بـ « انجيل رابولا » يرتقي عهدها الى عام ٥٨٦ م . وقد سبق خبرها .

٥ ـ في ميلان ـ ايطاليا نسخة نادرة المثال حوت اسفار العهد القديم برمتها . وممّا يدلّ على قدمها انها جلدت عام ١٠١٦ م وجددت بعد تفككها وقد طبعها بالنور والحجر الاب *Acexami* في ميلان سنة ١٨٧٦ في مجلدين .

٦ ـ في باريس نسخة للعهد القديم انجزت سنة ٧٢٠ م ورد فيها ما تعريبه عن السريانية « وهب لدير بية

الصعيد في مصر رهبان تكريتيون يلتمسون الصلاة والدعاء لجميع التكريتيين الذين اشتروا هذا الدير من الاقباط بمبلغ اثني عشر الف دينـــار بمساعي ماروثا بن حبيب الرئيس الكبير » .

وعـــدا مخطوطات الكتاب المقدس ، ففي المتحف البريطاني مخطوطة انجزت سنة ٤١١ م تحوي تاريخ شهداء فلسطين ، وكتـاب الظهور الآلهي لاوسابيوس القيصري . وخطب طيطس اسقف بصرى ٣٧٥ ضد اتباع ماني المبتدع . وفي لينغراد بطرسبرج مخطوطة فرغ من تعليقها عام ٤٦٢ تحوي التاريخ الكنسي لاوسابيوس القيصري .

هـذا وهنالك عدد من المخطوطات في هـذه المكتبات يرقى عهدها الى القرون الخامس والسادس والسابع .

واما في مكتبات الشرق فهي ايضاً تحتوي على مخطوطات نفيسة قديمة فمن اسفار العهدين :

في دير مار متى ، اسفار العهد الجديد ـ بعمودين ، الاول سرياني بالقلم الغربي ، والثاني نقله الى العربي بالحرف العربي نسخة الشماس مردينا بن يوسف مركيز بن توما من قرية باسخراي

في العراق ـ الموصل عام ١١٧٧ م . وفي مكتبة الدير ايضاً انجيل كنسي ـ سرياني بالقلم الغربي وبحسب النقل الحرقلي . نسخه الراهب القسيس بهنام من مدينة سجستان عام ١٢٢٢ م عن نسخة مضبوطة قديمة جداً يرتقي عهدها الى عام ٦١٦ م .

وفي خزانة دار البطريركية في دمشق ثلاثة اناجيل كنسية اسطرنجيلية على الرق ، الواحد بخط الراهب الشماس عمانوئيل ابن اخي يوحنا السبيريني مطران دير قرتمين ٩٩٨ ـ ١٠٣٤ . والثاني بخط الشماس بطرس الكاتب ومعلم مدرسة ملطية ابن القس جبرائيل ، انجزه في ملطية يوم السبت ٢١ كانون الثاني سنة ١٠٥٥ وزخرفه بخمس صور ملوّنة . والثالث بخط الراهب عبدالمسيح من رهبان دير مار جرجس غربي مدينة ماردين انجزه سنة ١١٧٠ .

وهنالك كتاب الأيام الستة وهي نسخة نفيسة على الرق لكتاب « الايام الستة » لمار يعقوب الرهاوي ٧٠٨ + انجزت في ٥ ايار عام ٨٢٢ م في هيكل الدياقون العتيق لكنيسة الرها الجديدة وعملت لثاودوسيوس مطران الرها . نقلت بعدئذ الى مكتبة دير مار متى ، ثم صارت الى خزانة

آمد الكلدانية ، فقلاية بطريركية الكلدان بالموصل سنة ١٩١٩ .

وفي دير الشرفة كتاب كنز الاسرار شرح العهدين لابن العبري نقلها ناسخها عن نسخة المؤلف نفسها . وقد اورد التاريخ في صدر الصفحة ٤٠٨ وهي الاخيرة ما نصه وتعريبه « انتهت الرسالة الى العبرانيين ، وبانتهائها كمل كتاب كنز الاسرار بيد مؤلفه ابن العبري في منتصف كانون الاول ١٥٨٣ ي ١٢٧٢ م .

الثقافة

السريانية

الثقافة السريانية

أمم الشرق عريقة في المدنية ، ضاربة في اعماق المجد والسؤدد ، وقد كتبت الفصول الاولى في تاريخ الانسانية ، ومثلت اعظم ادوار الحضارة على هذه الارض .

والثقافة السريانية جانب مشعّ من حضارة الشرق ، ومقياس ثابت لابعاد النشاط الفكري لدى السريان ، ومؤشر واضح لدور الأمة الآرامية السريانية في دفع عجلة الحضارة الانسانية الى الأمام .

ان كل حضارة من حضارات الأمم ، وكل ثقافة من ثقافات شعوب الدنيا ، تشتمل على الوان متنوعة من الفكر الانساني ، وتحتوي على مجموعة من معارف الشعوب ، ذلك ان كل ثقافة او حضارة صبّت فيها عطاءات الفكر البشري ، وتطعّمت بمختلف الثقافات والحضارات ، عن طريق الاقتباس المتبادل وانصهار الثقافات المختلفة في بوتقة واحدة ، ولا عرو اذا ما اطلق بعض العلماء على الثقافة العالمية تسمية « الحضارة الانسانية المشتركة » فهي والحالة هذه ملكاً للعالم باسره ، وليست وقفاً على أمة واحدة .

كانت سيادة العالم الفكرية في بدء عصور التاريخ في الشرق في بابل وحوالي دجلة والفرات ، حيث كانت تقطن الاقوام السامية سيّما الآرامية . ثم انتقلت السيادة الحضارية العالمية من الشرق الى الغرب الى اليونان والرومان . فسادت الثقافات اليونانية والرومانية العالم شرقاً وغرباً ، ثم انتقلت هذه السيادة وفق ناموس البيعة الى الشرق مرة اخرى قبيل ظهور العرب المسلمين ، وقد اسهم في ذلك السريان المسيحيون اسهاماً فعّالاً ولعبوا دوراً كبيراً في هذا المضمار . وكانت عواصم تلك الحضارة سورية حيث انتشرت فيها المدارس الكبرى في الرها ونصيبين وقنسرين وحران وجنديسابور ثم سادت الحضارة الاسلامية العربية بفضل السريان العالم الشرقي ثم انتقلت الى الغرب متخذة مقرّها الاندلس ، وعاصمة هذه الحضارات كانت قرطبة .

لذلك فان المدنية الغربية الحاضرة لا يصح ان تنعت بالغربية فقد اسهمت فيها شعوب كثيرة شرقية وغربية . والوصف الصحيح لها انها مدنية علمية انسانية(١) .

---

(١) الدكتور ابو شادي : ثورة الاسلام ص ٤ ، والدكتور صبحي الحصاني في احدى محاضراته .

ان المتتبع لمجرى الثقافة السريانية وما حوته من حقائق روحية حاسمة ، وما سجلته من نتائج هامة ، دينية وادبية وعلمية ، يجدها حصيلة جهود طويلة ، واجيال متواصلة . وبالرغم ممّا المَّ في تراث هذه الثقافة من الحيف والعسف وبما انتابه من الآفات من نهب وسلب وحريق وضياع وتلف كما علمنا ، فان ما تبقى بين ايدينا وما احتفظت به خزائن الكتب العالمية شرقاً وغرباً كما مرَّ شرحه ، يكفي ان يعطي فكرة واضحة صحيحة عن السريان ويرفع من شأنهم ويعطيهم المكانة اللائقة بهم في عالم الثقافة والحضارة والدين .

لقد وجد المستشرقون في هـــذا التراث ثروة ادبية ضخمة ، ومادة فكرية دسمة ، فانكبوا عليه بكل جوارحهم ، وتناولوه بالدرس ، واحاطوه بهالة من العناية الفائقة .

تتناول الثقافة السريانية مختلف فروع العلم والمعرفة ، وتمتد من القرن السابع قبل الميلاد وتتبلور في العهود المسيحية ، وتقوى وتشتد في القرون السابع والثامن والتاسع والعاشر وما بعدها ولا تزال حتى يومنا هـذا . وبذلك بوسعنا ان نقسمها الى مرحلتين كبيرتين ، الوثنية والمسيحية .

المرحلة الوثنية

ممّا لا شك فيه ان كان للسريان الآراميين في عصرهم الوثني ثقافة آرامية زاهرة ، وحضارة شامخة ، تتمثل في المدارس الكثيرة والمكتبات الضخمة ، والشخصيات العلمية العديدة والبارزة ، والانتاج الزاخر ، والعطاء الغزير . قال جرجي زيدان : « السريان بقايا الكلدان الذين انشأوا تمدناً ، ووضعوا علوماً هامة ، ورصدوا الكواكب ، واخترعوا المزاول ، ووضعوا اسس الطب قبل الميلاد بقرون » وقد بدأ للدارسين والمتتبعين ان كان للآراميين السريان ادب وفلسفة ومختلف فروع المعرفة ، وهم الذين وضعوا اصول العلوم بأسرها . فقد رصدوا الأفلاك ، وقسّموا السنة الى اشهر وايام وساعات ، وتميز كهنتهم القدماء بالشعر ، فنظموا القصائد الرائعة والمزامير لآلهتهم . قال رينان العالم الفرنسي : ان آداب اللغة الآرامية الكتابية تسربت من بابل الى ما بين النهرين في عهد برديصان في القرن الثاني »(٢) .

وخير ما تعتز به الامة الآرامية السريانية وتتيه به فخراً ودلالاً ، انها ابتكرت حروف الهجاء ، واستنبطت الكتابة .

---

(٢) شابو آداب اللغة الارامية ص ٢٠ .

تشير الآثار اليونانية الى ان اليونان تعلموا الكتابة من الفينيقيين قدموا اليها من الجهة الغربية من بلاد الشام قبل المسيح بقرون ، بقيادة رجل اسمه « قدما » وهو اسم سرياني معناه الاول . ولكن هذا لا يعني ان الفينيقيين هم الذين اخترعوا صناعة الكتابة ، انما جلبوا هذه الصناعة من مكان الى مكان ، وواضح ان هنالك فارقاً ما بين جلب الشيء من مكان الى مكان آخر ، والاختراع . **وهب ان الفينيقيين هم مخترعو الكتابة فهؤلاء هم ايضاً من العنصر الآرامي**(٣) . وكانت لغتهم اما سريانية واما اقرب الى السريانية من سائر اللغات السامية(٤) . ومن الفينيقيين اخذ اليونان حروفهم . وقد حافظ اليونان على الاسماء السامية للحروف وعلى شكلها العام وترتيبها . وكانت تكتب الحروف في اقدم الكتابات الاثرية اليونانية من اليمين الى الشمال . ونقل اليونان في القرن السادس ق.م ابجدية ادخلوا اليها شيئاً من التحسينات الى الرومان . وعن اليونان والرومان اخذت

---

(٣) انجيل مرقس ٧ : ٢٦ .
(٤) المطران يوسف داود : اللمعة الشهية ٢

الامم الغربية حروفها الابجدية(٥) كما نقل الآراميون ابجديتهم الى العرب والهنود والارمن وسائر الشعوب الشرقية كما قال الدكتور فيليب حتي : « مع انتشار اللغة الآرامية انتشرت الابجدية الفينيقية التي كان الآراميون اول من اقتبسها واستعملت في لغات اخرى في القارة الاسيوية . وحصل العبرانيون على ابجديتهم من الآراميين بين القرنين السادس والرابع . واخذ عرب الشمال ابجديتهم التي كتب بها القرآن من الآرامية التي استعملها الانباط . **كذلك حصل الارمن والفرس والهنود على ابجديتهم من مصادر آرامية . وحروف البهلوية والسنسكريتية هي من اصل آرامي** . وحمل الكهنة البوذيون من الهند الابجدية السنسكريتية الى قلب الصين وكوريا . وهكذا وصلت الحروف الفينيقية شرقاً بطريق الآرامية الى الشرق الاقصى ، وغرباً بطريق اليونانية الى الاميركتين مطوقة العالم كله »(٦) .

ان هذا الفتح الحضاري الذي طلعت به الامة السريانية واعني به اختراع النظام الابجدي ونشره ، يعتبر امر خطير

---

(٥) الابراشي الآداب السامية ص ٤١ ويوسف داود القصاري ص ٢٧
(٦) فيليب حتي : تاريخ سورية ١١٧ ـ ١١٨ و ١٨٣ .

جداً في التاريخ ، لا بل الخطوة الاولى والوثبة الكبرى نحو الثقـــافة والمعرفة . وبكل جدارة واستحقاق دعيت السريانية : « ام الحضارة » و « اميرة الثقافة » ، كما دعي السريان فيما بعد « معلمو الشرق » . قال ديودورس الصقلي المؤرخ اليوناني الشهير في القرن السابع قبل الميلاد : « **ان استنباط الكتابة يعود فضله الى السريان** » وقال احد ملوك الهند سنة ١٨٨٠ م مخاطباً السريان : « **امتكم قديمة ، ومثال سامٍ للتاريخ المجيد** » .

امـا من حيث الآثار الادبية والعلمية ممّا يدعو الى الاسف والألم الشديدين . انه لم يصل الينا كتاب سرياني لا في الدين ولا في الادب بالرغم من انتشار اللغة السريانية انتشاراً هائلاً وسيادتها على جميع مرافق الحياة كما علمنا . وقـد عزا الباحثون السبب في ذلك الى ان الآراميين بعد اعتناقهم الدين المسيحي المبـين وتذوقهم حلاوته ، ضحوا في سبيله باغلى ما عندهم ، وارادوا ان يقطعوا كل صلة لهم مع الوثنية فلم يكتفوا بان يبيدوا اسمهم القديم الآرامي او التخلية عنه ، واخذهم تسمية مسيحية جديدة وهي « **السريانية** » كما سبق شرحه ، ولكنهم ذهبوا الى اكثر من هذا . انهم

اصبحوا ينظرون الى كل شيء يشم منه رائحة الوثنية نظرة غير مريحة ، فحطموا التماثيل والنصب التذكارية التي اقيمت لاجدادهم ، ومحوا الكتابات ، واحرقوا كل الكتب والآثار المدنية والعلمية خشية ان توقع معالمها الوثنية احفادهم في شرك التوثن فصار « **كل شيء من اجل الدن** » لذلك طمست اخبار اجدادنا علينا وتخفى نتاجهم ، وضاع ادبهم . وما وصل الينا ان هو إلا نماذج بسيطة لا نستطيع ان نبني عليها حكماً من ذلك : كتاب احيقار وزير سنحاريب ملك اشور ٦٨١ ق . م ثم لابنه اسرحدون ٦٨٠ – ٦٦٨ ق . م ان قصة احيقار هذه تنطوي على نصائح وحكم ، مبنية على ثلاثة عناصر رئيسية ، القصة ، والاخلاق ، والالغاز . وهي تدور حول الفكرة التي يتضمنها المثل الآرامي القديم : « من حفر حفرة لاخيه وقع فيها » او القول العربي : « اتق شر من احسنت اليه » وقد وردت الاشارة الى خبره في سفر طوبيا ١٤ : ١٠ ولا شك في ان هنالك صلة وثيقة بين سفر دانيال وقصة احيقار ناهيك عن الأمثال الواردة في اسفار التوراة والتي لها صدى في خبر احيقار .

اما في اسفار العهد الجديد ، فان قصة العبد الشرير الوارد ذكرها في انجيل لوقا ١٢ : ٤١ وما يليه . وفي

انجيل متى ٢٤ : ٤٢ وما يليه تكاد تكون قصة نادان ابن اخت احيقار . وفي رسالة بطرس الثانية ٢ : ٢٢ نقرأ : « لقد اصابهم ما في المثل الصادق ، كلب عاد الى قيئه وخنزيرة مغتسلة الى التمرغ في الحمأة » ويقول احيقار لابن اخته نادان : « يا بني انت صرت مثل الخنزير الذي دخل الحمام من الاكابر فلما خرج نظر جورة (سيان) نتنة فنزل وتمرغ فيها » وهو المثل الذي استشهد به بطرس الرسول .

ويعتبر كتاب احيقار هذا اول كتاب من نوعه في تاريخ الحكمة البشرية ولا يزال بلغته الآرامية الاصيلة ، وقد ترجم الى اليونانية والعربية . وقدّم فيه المطران بولس بهنام دراسة جيدة ومفصلة في كتابه الموسوم « احيقار الحكيم »(٧) .

ومن الآثار الباقية ايضاً ابيات قليلة للشاعر الفيلسوف وافا الذي عاش قبل المسيح بدهر طويل . اضف الى ذلك اساطير منقوشة على بعض اضرحة الملوك الاباجرة في ولاية

---

(٧) المطران بولس بهنام ــ احيقار الحكيم - مطبوعات مجمع اللغة السريانية بغداد ١٩٧٦ .

الرها ، وكتابات مزبورة على الحجارة والقرميد في خرائب بعض المدن المندثرة .

وللفيلسوف مارا بن سرافيون السميساطي رسالة لطيفة كتبها لتثقيف ابنه في اواسط القرن الثاني للميلاد ، وكلها حكمة وموعظة ، وتظهر فيها مبادىء الفلسفة الرواقية .

المرحلة المسيحية

تعتبر الثقافة السريانية في المرحلة المسيحية كنسية ودينية قلباً وقالباً ، سيما انها نتاج قرائح عقول اكليريكية من بطاركة ومطارنة ورهبان وشمامسة . وتشمل صنوف المعرفة كافة ، الكتاب المقدس ، اللاهوت ، التفسير ، الفقه الكنسي ، المنطق ، الفلسفة ، الاخلاق ، التاريخ الكنسي والمدني ، الموسيقى ، الطب ، الجغرافية ، العلوم الطبيعية ، اللغة ، النحو وبالجملة سائر المعارف البشرية بدون استثناء . وقد تركزت هذه الثقافة على العلوم الدينية فاشبعها واضعوها درساً وتحقيقاً وتركوا فيها مجلدات ضخمة .

ومن قادة هذه الثقافة البارزين ، وفي هذه المرحلة بالذات : مار افرام السرياني ٣٧٣ + مار يعقوب السروجي

٥٢١ + مار فيلكسينوس المنبجي ٥٢٣ + سرجيس الرأسعيني ٥٣٦ + مار يعقوب الرهاوي ٧٠٨ + البطريرك مار ديونيسيوس التلحري ٨٤٥ + مار ايوانيس الداري ٨٦٠ + مار موسى بن كيفا ٩٠٣ + مار يعقوب بن صليبي ١١٧١ + البطريرك مار ميخائيل الكبير ١١٩٩ + ابن العبري ١٢٨٦ + .

ومن المبرزين في القرن العشرين البطريرك افرام برصوم ١٩٥٧ + المطران يوحنا دولباني ١٩٦٩ + المطران بولس بهنام ١٩٦٩ + البطريرك يعقوب الثالث ١٩٨٠ + البطريرك زكا الاول عيواص الجالس سعيداً .

نسمع صدى هذه الثقافة في روائع عطاءات الثقافات العالمية الغربية ، فمثلاً ان قصيدة الفردوس المفقود تلك الملحمة الخالدة للشاعر الانكليزي الضرير ملتون التي وضعت سنة ١٦٤٢ ليست إلا صدى لقصيدة سريانية وضعها شاعر سرياني يدعى اسحق الأمدي في القرن الخامس المسيحي سماها « الحلم الذي رآه آدم عن الفردوس » وللمطران بولس بهنام مقالة طريفة في هذا الموضوع(٨) .

---

(٨) مجلة لسان المشرق ـ السنة الاولى ـ ١٩٤٩ العدد ١٠ ص ١ ـ ٨

وفي مقالة رائعة للدكتور فؤاد افرام البستاني تحت عنوان : « جنة الفردوس في شعر مار افرام » يقول : « من لنا بصوفي مصطفى وشاعر الهي ، سوى مار افرام ينقلنا على اجنحة الشعر ورؤى النبوة باناشيده الخمس عشرة الى مرابع الفردوس ليرينا قبل دانتي بالف سنة وقبل ملتون بالف وخمسمائة سنة ما لا عين رأت ، ويسمعنا ما لا اذن سمعت »(٩) .

ونظرية « **الانسان عالم صغير** » التي طلع بها الى عالم الفكر هردر الالماني ليست إلا ترديداً لصدى فكرة ولدت في عقلي العالمين السريانيين هما : القديس مار يعقوب السروجي في القرن السادس ، والقديس مار احودامه اسقف العرب فجاثليق المشرق في القرن السادس ايضاً . وقد اشار اليها فيلسوف العرب الكندي حيث جاء في رسالته في حدود الاشياء ورسومها ما يلي : « ان في العالم تدبيراً اشبه بتدبير النفس للبدن . . . ولهذه العلة سمى الحكماء الانسان العالم الاصغر » وفي رسالته الى احمد بن المعتصم يقول :

---

(٩) محاضرته في مهرجان افرام ـ حنين في بغداد ١٩٦٢ .

« سمى ذوو التمييز من الحكماء القدماء من غير اهل لساننا ، الانسان : عالماً صغيراً . اذ فيه جميع القوى التي هي موجودة في الكل »(١٠) . لا شك في انه يشير الى علماء السريان وبنوع خاص الى مار احودامه من مدينة بلد اسقف العرب فجاثليق المشرق منوهاً ضمناً بكتابه الموسوم : « الانسان العالم الاصغر » اذ لم يذكر قط ان غيره قال بهذه النظرية قبله .

ونرى في كتاب : « علة كل العلل » للرهاوي المجهول في القرن العاشر الميلادي ، نظرية الانسان الاعلى التي اتى بها نيتشة الفيلسوف الالماني الشهير مردداً صدى فكرة فيلسوف سرياني آخر . وكما نجد في هذا الكتاب بالذات نواة لنظرية غاليلو العالم الفلكي .

ان علماء السريان المسيحين ، كتبوا في ثلاث لغات هي السريانية لغتهم الخاصة ، والعربية ، واليونانية . ولم يكتفوا بنتائج قرائحهم الخلاقة بل احتكوا بشعوب اخرى ونقلوا الى لغتهم احسن ما لديهم من نتائج العقول ، وثمار المعرفة .

---

(١٠) رسائل الكندي الفلسفية ص ١٧٣ و ٢٦٠ .

وللوقوف على ذلك كله نود ان نقطع ثلاث مراحل تاريخية حيث تظهر السريانية بشموخها وعنفوانها ، ولدى الوقوف على ذلك كله يخرس بعض المستشرقين المتعصبين الذين قالوا باطلاً : « اللغة السريانية لغة تهاليل القيامة وعذاب القبور » سوف تجد انها لغة ادب وعلم وفلسفة ودين . وهذه المراحل الثلاث كالآتي :

المرحلة الاولى : وتبتدىء من عصر قيام المسيحية حتى ما قبل عصر الفتح العربي والذي ينتهي بالقديس مار يعقوب السروجي ٥٢١ + .

المرحلة الثانية : وتبتدىء من اواخر القرن السادس وحتى سقوط الدولة العباسية عام ١٢٥٨ وظهور المغول والتتر .

والمرحلة الثالثة : من اوائل القرن الرابع عشر وحتى يومنا هذا .

وسيتناول هذا الجزء (الجزء الثالث) المرحلتين الاولى والثانية . وسنفرد للمرحلة الثالثة جزءاً آخر يكون الجزء الرابع من كتابنا « السريان ايمان وحضارة » ، وبذلك

ستتضمن هذه السلسلة خمسة اجزاء بدلاً من اربعة حيث كنا قد ذكرنا في مقدمة الجزء الاول ، ان هذه السلسلة تشتمل على اربعة اجزاء .

المرحلة الاولى

وتشمل هذه المرحلة الادباء المتنصرين من الوثنية ، وثبتوا في دينهم المسيحي الجديد ودافعوا عنه بكل قواهم ، وبالادباء المتنصرين ثم ارتدوا عن المسيحية ومالوا الى آراء فاسدة مثل برديصان وطيطاس ، وبالادباء المسيحيين اصلاً .

قال رينـان المستشرق الفرنسي « ان الآداب السريانية انتقلت من بابل الى ما بين النهرين في عهد برديصان » ويقول جرجي زيدان « وما ان تألفت النصرانية وانتشر دعاتها في البلاد ، وافترقت الى طوائف ومذاهب كان للسريان حظ كبير من كل ذلك ، وكان لهم تأثير ذو شأن في تاريخ النصرانية » .

كان للسريانية في هذه الفترة التاريخية التي تقدر بنحو اكثر من خمسمئة سنة ، ادب سرياني زاهر ، وثقافة لها وزنها وحجمها ، غير ان ما عللناه في سبب ضياع الادب

السرياني الوثني ، في الشرح السابق ينطبق على واقع هذه المرحلة ايضاً الى حد ما سيّما في القرنين الاول والثاني . يضاف الى ذلك ما لاقته الكنيسة السريانية من اضطهادات عنيفة تارة من الروم وطورا من الفرس والمجوس . ولا يخفى ايضاً ان السواد الاعظم من ابناء كنيسة سورية ولئن كان سريانياً جنساً ولغة غير ان بطاركتهم واساقفتهم وكبار علمائهم برعوا باللغة اليونانية لغة الدولة والادب يومئذ وتأدبوا بآدابها ، وصنفوا بها مصنفاتهم طيلة القرون الاربعة الاولى كالبطريركين مار اغناطيوس النوراني ١٠٧ + وثاوفيلس الانطاكي ١٨٢ + ومار لوقيانس السميساطي قسيس كنيسة انطاكية ٣١٢ + والذهبي الفم ٤٠٧ + وحتى ان المنتوج السرياني نقل الى اليونانية ، منها تآليف برديصان والقديس مار افرام وهذا ما سنبحثه بالتفصيل في المواضيع القادمة وسبب ذلك ان الكنيسة السريانية كانت تهدف الى انعاش العقيدة ولا تعر اهمية للعنصرية . غير انه بالرغم من ذلك فقد ابدى علمـــاء السريان نشاطات ملحوظة في حقل السريانيات ، منها نقل الكتاب المقدس الى السريانية وهي الترجمة المعروفة بالبسيطة . كما ظهـر خلال تلك الفـــترة ايضاً فلاسفة على مستوى عالٍ امثـــال طيطانس ١٨٠ م

وبرديصان ٢٢٢ م وماني في اواسط القرن الثالث وثلاثتهم من المتنصرين القادمين من الوثنية ثم انحرفوا عن جادة الحق والصواب . ومن الادباء والعلماء المسيحيين اصلاً مار افرام السرياني وتلامذته ، وافرهاط الفارسي ، ومار يعقوب السروجي ، واسحق الآمدي . كما نجد في هذه الحقبة ايضاً بولس ابن عرقا او عنقا الرهاوي في اواخر القرن الثاني واوائل الثالث الذي اجاد صناعة الخط واستنبط القلم المعروف بالاسطرنجيلي . كما نجد ايضاً ادباء آخرين كتبوا جهاد بعض الشهداء بانشاء حسن ، وبرز قسم آخر من العلماء اسهموا في ترتيب الطقس الكنسي امثال مار شمعون برصباعي ٣٤٣ + الذي نظم اغاني روحية حلوة .

تراجم بعض الادباء في هذه الحقبة(١١)

برديصان : فيلسوف سرياني كبير ، وشاعر موهوب . ولد بالرها وثنياً سنة ١٥٤ ودعي برديصان نسبة الى نهر

---

(١١) المراجع : اللؤلؤ المنثور للبطريرك افرام برصوم ، تاريخ الكنيسة لابن العبري ، تاريخ الكنيسة الانطاكية اغناطيوس يعقوب الثالث . الدرر النفيسة للبطريرك افرام برصوم . كلدو وآثور لادى شير .

ديصان الذي كان يروي مدينة الرهـا . تربى وتهذّب في قصر معنو الثامن ملك الرها ومن هذا يُستدل ان اسرته كانت من علية القوم . استقى علومه عن حكماء بابل وفلاسفة العراق الاقدمين ، وقد شهد هو عن نفسه بتشربه الآداب الآرامية القديمة في بابل ويسأل تلميذه عويداً مفاخراً « هل قرأ هو ايضاً مثله كتب بابل وآدابها الآرامية ؟ ، فتبحر بالفلسفة وعلم الفلك وسائر العلوم الطبيعية ، واتقن اللغتين اليونانية والسريانية ، وغدا من امراء اللغة السريانية . تنصر على يد اوشتاسب اسقف الرهـا ورسم شماساً وقيل كاهنـاً ايضاً . حبّر مقالات رائعة في السريانية رداً على اهل البدع وانتصاراً للنصرانية . وصار يمثل الثقافة السريانية المسيحية خير تمثيل . وذهبت له شهرة واسعة في حقول الآراميات . وضع بالسريانية كتباً شتى لم يبق منهـا غير الكتـاب الموسوم بـ « شرائع البلدان » املاه على تلميذه فيلبس وناقش فيه قضية القضاء والقدر ، مصرحاً بوحدانية الله . وهو اول كتاب سرياني في الفلسفة في الدور المسيحي ، وجد فيـه المستشرقون اهمية كبرى فدرسوه وترجموه الى لغاتهم الاوربية :

طبعـه كورتون مـع ترجمته الانكليزية سنة ١٨٨٥ ،

وترجمه ميركس الى الالمانية سنة ١٨٦٣ ونو طبعه مـــع الترجمة الافرنسية سنة ١٨٩٩ .

وكان برديصان شاعراً مفلقـاً ، قرض الشعر السرياني وتوسّع في اوزانه . ومن تصانيفه الضائعة كتاب في الفلك ، ومئة وخمسون نشيداً على طريقة مزامير داود .

انحرف برديصان عن جادة المسيحية ، وسقط في بدعة خلط بعض آراء الوثنية في المعتقد المسيحي ، وتورط في معتقدات اخرى فاسدة . فنبذته الكنيسة ، واقصته عن حظيرتها . وقد اخبرنا مار افرام السرياني ان برديصان دسّ اضاليله في نشائد نظمها على نسق المزامير مخترعاً لها الالحان ، فافتتن بانشادها الفتيان والفتيات في الرها . وتوفي عام ٢٢٢ م .

ططيانس : ولد في اسرة وثنية آثورية حـوالي سنة ١١٠ في حديّاب (ولاية آثور) وعرف بالآثوري . وكانت لغة ابويه السريانية لغة اهل اثور في ذلك الحين . وكان موهوباً درس اللغتين السريانية واليونانية فاتقنهما ، وتبحر في الخطابة والادب والفلسفة وحصل على معظم علوم عصره . وفي عام ١٥٠ انطلق الى رومية وتقـرب الى المسيحيين ،

واطلع على الكتاب المقدس ففضله على كتب فلاسفة اليونان والرومان فتنصر وتتلمذ للقديس يسطينس النابلسي الفيلسوف الشهير . ودافع عن النصرانية في كل قواه ووضع مؤلفات عديدة مبيناً سموّها وفضلها على الوثنية . ثم رحل الى بلاد اليونان عام ١٥٢ - ١٥٣ يدافع عن صحة الدين المسيحي . ثم عاد الى رومية عام ١٦٧ فانشأ فيها مدرسة . واخيراً عاد الى بلاده ما بين النهرين وتصدر للتعليم في احدى مدارسها في عام ١٧٢ .

شط ططيانس وانحرف عن جادة الحق المسيحي فوقع في شرك بدعة وخيمة ، فاقصته الكنيسة من حظيرتها ، فاقام في الرها على الارجح حتى وفاته عام ١٨٠ م .

صنف ططيانس باليونانية تآليف شتى ، ولا يعرف له بالسريانية إلا الدياطسرون ، والدياطسرون لفظ يوناني مركب مدلوله (من خلال الاربعة) وهو اسم للانجيل الموحد الذي يشتمل على سيرة السيد المسيح وتعاليمه الآلهية . ووقع الدياطسرون عند السريان في الرها وولايتي الفرات وما بين النهرين اجمل موقع لسهولته وجودة انشائه وترتيبه التاريخي فاطلقوا عليه اسم « الاناجيل المختلطة » وقرأوه

في البيعة ، وتبسطوا في نشره . وفسره مار افرام ولم يبق من تفسيره إلا ترجمته الارمنية . ودام استعمال الدياطسرون حتى الربع الاول من المئة الخامسة اذ الغاه رابولا مطران الرها حرصاً على سلامة الكتاب المنزل ، واحل محله الاناجيل المفردة ، فزال تداوله من البيعة وبقي منه نسخ للمطالعة . ولا يوجد من الدياطسرون باليونانية سوى خمسة عشرة سطراً ، وبالسريانية شذرات لا تغني فتيلاً ، وفي اوائل الجيل الحادي عشر نقل ابو الفرج عبدالله بن الطيب الكلداني كتاب الدياطسرون هذا الى العربية . وقد طبع السيد شياسكا هذه الترجمة سنة ١٨٨٨(١٢) .

ماني الفيلسوف : ولد وثنياً في مدينة السوس حوالي سنة ٢١٥ ، تثقف وتربى على مذهب زرادشت الفارسي القائل بآلهين اله الخير وهو هرمز واله الشر وهو اهريمان . ثم تنصر ، ثم خلط في الدين المسيحي كثيراً من آراء زورداستر ، وانشأ مذهباً جديداً على اساس المجوسية الفارسية قيل انه زعم انه الفارقليط . وقال ان المسيح

---

(١٢) ادى شير : كلدو وآثور مج ٢ ص ٢١ ـ ٢٠ والمجلة البطريركية السريانية في القدس السنة ١ ص ٩١ .

ظهر بنوع خيالي وانكر القيامة العامة ، وعلّم بالتقمّص ، ورفض الزواج . واختار له اثني عشر تلميذاً طاف بهم في بلاد شتى ناشراً مذهبه الجديد . وفي عام ٢٦٨ حرمه المجمع الانطاكي مـــع بولس السميساطي ، ثم سلخ جلده بهرام الاول وصلبه عام ٢٧٥ .

كتب ماني بالسريانية والفـارسية رسائل ومقـالات ، مخترعاً لها ابجدية خاصة ، وقد ذكر له بعضهم سبعة كتب رئيسية ، ستة منها بالسريانية وواحد بالفارسية(١٣) .

لا نستطيع ان نقول شيئاً في ادب المانويين الآرامي ، لان لم يصل الينـا شيء من ادبهم الاصلي ، كل ما نعلمه ان ماني وضع تآليفه باللهجة البابلية ، وكتب المانويون في ما بعد بالفارسية وظلوا مع ذلك يستعملون الحروف المقتبسة من السريانية .

افراهاط الفارسي : ولد مجوسياً في بعض بلاد الفرس ، تنصّر وترهب ونحـــله بعضهم اسم يعقوب ونسبوا اليـه

---

(١٣) دائرة المعارف البريطانية مج ١٥ ص ٤٨١ و ص ٤٨٧ .

الاسقفية . اتقن اللغة السريانية وأمعن في درس كتاب الله ، فالّف كتاباً ضخماً اسماه البينات او البراهين اشتمل على ثلاث وعشرين مقالة او خطبة مسبية مرتبة على الابجدية السريانية ، وكلها تدور حول الحياة الرهبانية وبعض المسائل الدينية البيعية والقانونية ، ومن مواضيعها ، الايمان ، محبة القريب ، الصيام ، الصلاة ، التواضع ، الرعاة ، الختان ، الفصح ، قيامة الموتى ، البر بالفقراء وختمها بمقالة رائعة عنوانها « العنقود » . ويعد افرهاط اول من كتب عن السيرة النسكية والحياة الرهبانية من السريان . وقد نشر كتاب افرهاط هذا ، المستشرق جان باريزو الفرنسي البندكتي عام ١٨٩٤ في مجموعة آباء البيعة السريانية بباريس مع ترجمته الى اللاتينية . كما ترجم بعض نفثاته الى الالمانية .

وافرهاط هو الكاتب السرياني الاول الذي وصلت الينا تآليفه كاملة . غير ان انشاءه خالٍ من فصاحة مار افرام والسروجي والمنبجي وغيرهم من كتبة العصر الذهبي .

012945